الجامعة العربية تدين تصريحات الوزير الإسرائيلي «سيموتريتش» الفاشي

كيف يحتفل الفلسطينيون بشهر رمضان المبارك؟

فلسطين في شهر

العدد 116 - مارس 2023

أرضنا

30 آذار يوم الأرض الفلسطينية

فلسطين في شهر

مجلة شهرية تصدر عن قطاع فلسطين والأراضى العربية المحتلة (جامعة الدول العربية)

العدد 116 - مارس 2023

رئيس التحرير

أ.د.سعيد ابو على

مدير التحرير

مصطفى عبيد

إخراج فنى

منتصر سعد

للمقترحات

02-25777217

الموقع الإلكتروني

www.lasportal.org

البريد الإلكترونى الخاص

بمجلة فلسطين فى شهر

palestine.inmonth@las.int

طباعة

جامعة الدول العربية

المعادي

صامدوون

تصعيد خطير ضد الفلسطينيين بالأراضى المحتلة .. وتكرار اقتحام المسجد الأقصى

ما وراء الأحداث 06

فؤاد الشوبكي شيخ الأسرى الفلسطينيين يتنسم الحرية

وجه أبيض .. ووجه أسود 10

إسراء جعابيص تعانى من حروق صعبة وتحتاج عمليات جراحية لعلاجها ولا مجيب

من حكايات الأسرى 24

فى ذكرى ميلاد غسان كنفاني.. قراءة جديدة لـرواية «رجال فى الشمس»

نقد أدبى 32

هذا رأينا

قوانين إسرائيلية لتعزيز الاستيطان

بقلم السفير الدكتور سعيد أبو علي

الأمين العام المساعد لشئون فلسطين والأراضى العربية المحتلة بالجامعة العربية

قام الكنيست الإسرائيلى ولا يزال، بإصدار قوانين سهلت مصادرة الأراضى وسعت لشرعنة الاستيطان بالاستيلاء على الممتلكات العامة والخاصة للدولة الفلسطينية، ومن هذه القوانين ذات العلاقة بتعزيز الاستيطان:

قانون الطوارئ:

مدد الكنيست الإسرائيلى بتاريخ 25/1/2023 قانون الطوارئ "قانون الأبارتهايد" فى الضفة الغربية لمدة 5 سنوات، وفيما يلى أهم ما يتضمنه هذا القانون، وتاريخ العمل به، وماذا يعنى تمديد سريان مفعول هذا القانون؟

عكفت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة منذ احتلال الضفة الغربية عام 1967 على تمديد العمل بسريان مفعول ما تسميه ب "قانون أنظمة الطوارئ فى يهودا والسامرة" باعتباره قانونا ذا سريان مؤقت يتم العمل على تمديده كل خمس سنوات، وبذلك تحولت هذه العملية إلى ما يشبه العرف الذى شكل محط إجماع لدى الائتلافات الحكومية المتعاقبة على اختلاف الأحزاب التى تضمها وتشكلها، وقد تم سن أنظمة الطوارئ (التى تطورت مع الوقت وتم دمج العديد من القوانين الإسرائيلية المدنية فيها)، ليكون متاحا للحكومة الإسرائيلية العمل بنظامين قانونين منفصلين فى الضفة الغربية، فمن ناحية، يخضع الفلسطينيون تحت الاحتلال إلى أنظمة الطوارئ الإسرائيلية المشكلة من الأوامر العسكرية التى تصدر عن الحاكم العسكرى للضفة الغربية، إلى جانب بعض القوانين الأردنية (المنتقاة) التى كانت سارية قبل الاحتلال الإسرائيلى (فى محاولة للهروب من مأزق عدم تطبيق القانون المحلى على الأرض المحتلة كما ورد فى القانون الدولي)، من ناحية أخرى يتم تطبيق القانون الإسرائيلى المدني/ الجنائى على مستوطنى الضفة الغربية باعتبارهم يهودا يعيشون فى إسرائيل وينطبق عليهم ما ينطبق على المواطن الإسرائيلى فى الداخل (مع الإشارة إلى أن التطرق إليهم كيهود جاء ليحول دون تمكن فلسطينيى الداخل فى الضفة الغربية بوصفهم إسرائيليين من الناحية القانونية، من الاستفادة من هذه اللوائح).

وتضمنت هذه الأنظمة ثلاث نقاط مهمة: الأولى أن هذا القانون يسرى على المواطنين الإسرائيليين المقيمين فى الضفة الغربية وهم اليهود فقط، الثانية هى أن سريان هذا القانون على اليهود يشمل ليس فقط لوائح القانون الجنائى الإسرائيلي، وإنما تم إدخال 17 قانونا إضافيا على مدار سنوات الاحتلال لتتحول إلى جزء لا يتجزأ من القانون، مثل قانون الدخول إلى إسرائيل (1952)، قانون نقابة المحامين (1961)، قانون خدمة الأمن (1986)، قانون تسجيل السكان (1965)، قانون التأمين الصحى (1994) وغيرها، مما يجعل من المستوطنات حيزا قانونيا ضمن الحيز القانونى والقضائى لدولة إسرائيل على الرغم من كونه حيزا جغرافيا منفصلا ويقع خارج حدودها. ثالثا، أن هذه اللوائح لم يتم سنها كقانون نهائي، بل بقيت قانونا ذا سريان مؤقت (بالعبرية: "هوراؤوت شاعا") الأمر الذى يلزم الحكومات المتعاقبة على تمديد العمل به مرة كل خمس سنوات كى لا يصبح المستوطنون فى الضفة الغربية فى وضعية قانونية معقدة وغير واضحة، بما يهدد مكانتهم القانونية واستفادتهم من الخدمات الإسرائيلية فى مختلف المجالات.

عموما، فإن تمديد قانون الطوارئ يفيد تمتع أكثر من 475 ألف مستوطن فى الضفة الغربية

تمديد قانون الطوارئ يفيد تمتع أكثر من 475 ألف مستوطن فى الضفة الغربية بنفس حقوق المواطنين الإسرائيليين السائدة فى الأراضى الإسرائيلية، وهو يؤكد بما لا يدع مجالا للشك على توجه الحكومة الإسرائيلية اليمينية الحالية ورغبتها الثابتة فى تعزيز ودعم الاستيطان فى الضفة الغربية المحتلة، فى انتهاك صارخ للقانون الدولى واتفاقيات جنيف والقانون الدولى الإنساني. قانون فك الارتباط:

فلسطين في شهر

بنفس حقوق المواطنين الإسرائيليين السائدة فى الأراضى الإسرائيلية، وهو يؤكد بما لا يدع مجالا للشك على توجه الحكومة الإسرائيلية اليمينية الحالية ورغبتها الثابتة فى تعزيز ودعم الاستيطان فى الضفة الغربية المحتلة، فى انتهاك صارخ للقانون الدولى واتفاقيات جنيف والقانون الدولى الإنساني.

قانون فك الارتباط:

بتاريخ 12/2/2023 صادقت اللجنة الوزارية الحكومية الإسرائيلية لشؤون التشريع (تتبع مجلس الوزراء الإسرائيلى ومهمتها مراجعة القوانين قبل عرضها على الكنيست) على مشروع قانون لإلغاء قانون "فك الارتباط" لعام 2005، والذى تم بموجبه الانسحاب من مستوطنات بالضفة الغربية وقطاع غزة.

ويعود فك الارتباط إلى خطة رئيس الوزراء "اريييل شارون" والتى سلمها عام 2004 إلى الرئيس الأميركى السابق جورج بوش ضمن مساعى إحياء عملية السلام، وينص على إخلاء 4 مستوطنات وقواعد عسكرية من قطاع غزة، و4 مستوطنات فى محافظتى نابلس وجنين شمالى الضفة هي: غنيم، كديم، حومش، سانور، مقابل رسالة ضمانات أميركية تعترف بالكتل الاستيطانية الكبرى فى الضفة الغربية.

ويعنى توجه الحكومة الحالية لإلغاء فك الارتباط، منح الضوء الأخضر للمستوطنين للعودة إلى 5 بؤر مخلاة بمنطقة جنين شمالى الضفة، ومزيدا من التوسع فى آلاف الدونمات من الأراضى الفلسطينية (الدونم يساوى ألف متر مربع)، علما أن المستوطنين عادوا منذ إخلائهم بالفعل إلى بعض تلك المستوطنات، وخاصة مستوطنة "حومش" على أراضى مدينتى نابلس وجنين.

شرعنة البؤر الاستيطانية:

يقصد بـ "البؤر الاستيطانية" مواقع أقامها مستوطنون على أراض تخضع لملكية فلسطينية خاصة أو مصادرة من قبل جيش الاحتلال، لكن دون موافقة الحكومة الإسرائيلية على إقامتها.

والشرعنة تحيل إلى غاية سلطات الاحتلال فى حصول تلك البؤر على اعتراف قانونى وتحويلها من بؤر عشوائية إلى مستوطنات معترف بها ومدها بالكهرباء والماء وبقية الخدمات وتعزيز البنية التحتية ومزيد من البناء فيها، ومن آخر ما قامت به سلطات الاحتلال أن أعلن المجلس الوزارى المصغر (الكابنيت) بتاريخ 12/2/2023 شرعنة 9 بؤر استيطانية قائمة.

وتردد كثيرا قبل تشكيل الحكومة اليمينية الحالية شرط شرعنة البؤر الاستيطانية من بين اشتراطات الأحزاب المتطرفة على نتنياهو مقابل المشاركة فى الحكومة (طلب شرعنة ما بين 60 و70 بؤرة استيطانية)، وهو ما ينبئ بالمزيد من الشرعنة للبؤر الاستيطانية وعلى دفعات خلال الفترة القادمة.

وينتشر المستوطنون فى نحو 188 بؤرة استيطانية ونحو 50 بؤرة رعوية (رعاة ماشية) إضافة إلى 176 مستوطنة، مما يعنى الهيمنة على مساحات واسعة وبدعم حكومى إسرائيلى مباشر على مساحات واسعة من أراضى الضفة المحتلة.

توجه الحكومة الحالية لالغاء فك الارتباط، منح الضوء الأخضر للمستوطنين للعودة إلى 5 بؤر مخلاة بمنطقة جنين شمالى الضفة، ومزيدا من التوسع فى آلاف الدونمات من الأراضى الفلسطينية (الدونم يساوى ألف متر مربع)، علما أن المستوطنين عادوا منذ إخلائهم بالفعل إلى بعض تلك المستوطنات، وخاصة مستوطنة "حومش" على أراضى مدينتى نابلس وجنين.

وتوفر كافة الحكومات الإسرائيلية الدعم والحماية والبنية التحتية والاتصالات والمواصلات للمستوطنات والبؤر الاستيطانية، وقرارها الأخير فى هذا الجانب يعنى جلب المزيد من المستوطنين ومزيدا من البناء والتوسع الاستيطاني.

وتجدر الإشارة إلى أن غالبية البؤر الاستيطانية بنيت فى العقد الأخير، وباتت مرتعا لعصابات "تدفيع الثمن" الاستيطانية، والتى هى العمود الفقرى واليد والقوات الضاربة للصهيونية الدينية، وباتت ممثلة اليوم فى الكنيست والحكومة وتمارس عنفها بغطاء سياسي.

والأخطر أن سكان هذه البؤر مسلحون، ويحظون بدعم وزير الأمن الداخلى "إيتمار بن غفير" الذى يسعى إلى منح رخص لسلاحهم، فى سعى لشرعنة إطلاق النار على الفلسطينيين وقتلهم.

وسبق لرئيس وزراء إسرائيل "بنيامين نتنياهو" أن قام بإصدار تعليمات لطرح قانون "التسويات" لشرعنة البؤر الاستيطانية للتصويت عليه بالقراءة الثانية والثالثة فى الكنيست الإسرائيلى فى 29 يناير من عام 2017، فى انتهاك صارخ لقرارات مجلس الأمن الدولى وخاصة القرار رقم 2334 الصادر بتاريخ 23 ديسمبر عام 2016 والذى نص على عدم شرعية الاستيطان وطالب بوقفه فى الأراضى الفلسطينية المحتلة بما فيها شرقى القدس،وحمل إسرائيل مسؤولية جميع التدابير الرامية من قبلها لتغيير التكوين الديمغرافى وطابع ووضع الأرض الفلسطينية المحتلة.

وأذكر أيضا القرار رقم 446 الصادر عن مجلس الأمن فى 20 مارس عام 1979، اعتبر أن سياسة إسرائيل وممارساتها فى إقامة المستوطنات بالأراضى الفلسطينية والأراضى العربية الأخرى المحتلة منذ عام 1967 ليست لها شرعية قانونية ودعا إسرائيل بوصفها "السلطة القائمة بالاحتلال" إلى التقيد الدقيق بـ"اتفاقية جنيف" الرابعة لعام 1949، وإلغاء تدابيرها السابقة، والامتناع عن اتخاذ أى إجراء من شأنه أن يؤدى إلى تغيير الوضع القانونى والطابع الجغرافى أو يؤثر ماديا على التكوين الديموغرافى للأراضى العربية المحتلة منذ 1967، وعلى وجه الخصوص القدس وعدم نقل سكانها المدنيين.

كما أشير إلى القرار رقم 252 الصادر فى 21 مايو عام 1968 والذى اعتبر أن جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية وجميع الأعمال التى قامت بها إسرائيل، بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك، التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى للقدس هى إجراءات باطلة، ولا يمكن أن تغير فى وضع القدس، ودعا إسرائيل، بإلحاح، إلى أن تبطل هذه الإجراءات، وأن تمتنع فورا عن القيام بأى عمل آخر من شأنه أن يغير فى وضع القدس.

وختاما ووفق قواعد القانون الدولي، فإن وضع تشريعات قانونية تشرع الاستيطان فى أراضى الدولة الفلسطينية، يعتبر فى حد ذاته عملا غير قانوني، يحمل دولة الاحتلال الآثار القانونية المترتبة لإصلاح الأضرار المترتبة عن جريمة الاستيطان بدفع تعويضات مالية إضافة إلى محاكمة المسؤولين عن ارتكابها ومنفذيها باعتبارهم مجرمى حرب يخضعون لاختصاص المحكمة الجنائية الدولية.

إن هذه البيئة القانونية تكشف بما لا يدع أى مجال للشك بأن الهدف الحقيقى إنما هو ضم المساحة الأكبر من الضفة الغربية المحتلة وهو الضم الزاحف الجارى فى إطار ما يفرض على الأرض من وقائع قسرية وما تبادر إليه سلطات الاحتلال من تشريعات قانونية.. فهل وصلت الرسالة.

وختاما ووفق قواعد القانون الدولي، فإن وضع تشريعات قانونية تشرع الاستيطان فى أراضى الدولة الفلسطينية، يعتبر فى حد ذاته عملا غير قانوني، يحمل دولة الاحتلال الآثار القانونية المترتبة لإصلاح الأضرار المترتبة عن جريمة الاستيطان بدفع تعويضات مالية إضافة إلى محاكمة المسؤولين عن ارتكابها ومنفذيها باعتبارهم مجرمى حرب يخضعون لاختصاص المحكمة الجنائية الدولية.

تصعيد خطير ضد الفلسطينيين بالأراضي المحتلة وتكرار اقتحام المسجد الأقصى

شهدت الأسابيع القليلة الماضية تصعيدا خطيرا فى عمليات الاستهداف الإسرائيلى للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة حيث شهدت كثير من المناطق الفلسطينية اعتداءات موسعة من جانب المستوطنين الإسرائيليين فى ظل حماية قوات الاحتلال الرسمية. ويعنى ذلك أن إسرائيل تسفر عن نواياها وسياساتها لمواصلة التطهير العرقى ضد الفلسطينيين من خلال تصريحات عدائية أدلى بها بتسلئيل سموتريتش وزير المالية ورئيس حزب الصهيونية الدينية والتى دعا فيها إلى محو بلدة حواره من الوجود.

الارهاب الإسرائيلي

وأدانت الرئاسة الفلسطينية أعمال الإرهاب الإسرائيلى فى حوارة وبورين وعينبوس وغيرها من المناطق، والتى أدت إلى استشهاد العشرات وإصابة أكثر من 100 فلسطينى وحرق المحلات التجارية والمنازل والسيارات وممتلكات عامة أخرى. وأكدت الرئاسة أن هذا الإرهاب ومن يقف خلفه يهدف إلى تدمير وإفشال الجهود الدولية المبذولة لمحاولة الخروج من الأزمة الراهنة.

وحمّلت الرئاسة الفلسطينية المسؤولية الكاملة عن هذا الإرهاب للحكومة الإسرائيلية، وذكرت أن ذلك يؤكد انعدام الثقة بالوعود المقطوعة المتعلقة بوقف إرهاب المستوطنين واعتداءاتهم على المواطنين الفلسطينيين، وأن ما قام به المستوطنون يمثل ترجمة لمواقف بعض الوزراء فى هذه الحكومة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة.

وقال المندوب الدائم لدولة فلسطين لدى الأمم المتحدة

الجامعة العربية تدين تصريحات سموتريتش التي أنكر فيها وجود الشعب الفلسطيني

الوزير رياض منصور، فى تصريحات رسمية إن الوقت قد حان لوضع حد لإفلات إسرائيل من العقاب من خلال اتخاذ تدابير ملموسة للمساءلة لفرض تكلفة ملموسة عليها لانتهاكاتها الجسيمة لحقوق الإنسان التى ترتكبها، وخرقها المتواصل والمتعمد للقانون الدولي.

وشهدت مدينة القدس سلسلة من عمليات الاقتحام للمسجد الأقصى بمشاركة مسئولين فى الحكومة الإسرائيلية، ففى فبراير الماضى تكررت عمليات اقتحام المستوطنين وعناصر

من مخابرات الاحتلال للمسجد والتجول فى ساحته وعمل شروحات عن الهيكل المزعوم. كما شهد شهر مارس عمليات اقتحام مماثلة.

وتوالت ردود الأفعال العربية والدولية تجاه قانون إسرائيلى ينص على سحب الجنسية من الفلسطينيين وتهجيرهم قسريا بما يشكل تماديا فى السياسات العنصرية لدولة الاحتلال. وأدانت الأمانة العامة للجامعة العربية إقرار الكنيست الإسرائيلى لهذا القانون الجائر.

وقالت الأمانة العامة للجامعة العربية فى بيان رسمى لها «إن هذا القانون يمثل تكريس لسياسة العقاب الجماعى التى تمارسها إسرائيل فى حق أبناء الشعب الفلسطينى والتى تأتى فى سياق متصل مع تصاعد الاستهدافات الميدانية والاقتحامات ومجازر هدم المنازل التى ترتكبها الحكومة الإسرائيلية المتطرفة فى القدس خاصة والضفة الغربية بصورة عامة بينما تتصاعد وتيرة بناء المستوطنات غير الشرعية وشرعنة البؤر الاستيطانية وأخرها شرعنة 9 بؤر استيطانية.»

ودعت الأمانة العامة «المجتمع الدولى بدوله ومنظماته ومؤسساته إلى الضغط على إسرائيل للتدخل الفورى لوقف هذا القانون العنصرى والحرب المفتوحة على أبناء الشعب الفلسطيني.

وحذرت الأمانة العامة من أن استمرار إسرائيل فى هذه السياسات والممارسات والجرائم فى إطار تنفيذ مشاريع وخطط الضم والتهويد ستدفع لانفجار الأوضاع فى المنطقة مما يهدد الأمن والسلم الدوليين.

زيارة عباس للقاهرة

وكان شهر فبراير الماضى قد شهد زيارة للرئيس محمود عباس للقاهرة، والتقى خلال الزيارة بالسيد أحمد أبو الغيط الأمين العام لجامعة الدول العربية، حيث أطلعه على آخر التطورات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، فى ظل التصعيد الإسرائيلى الخطير، خاصة فى مدينة القدس، وتواصل إعتداءات المستوطنين على المقدسات وتحديدا المسجد الأقصى وعلى المواطنين وأراضيهم. وشدد الرئيس على ضرورة إلزام إسرائيل بكافة الاتفاقيات الموقعة مع منظمة التحرير الفلسطينية، ووقف الإجراءات أحادية الجانب.

كما تناول اللقاء أهمية عقد مؤتمر دعم القدس فى مقر

الجامعة العربية تُدين جرائم إسرائيل وتطالب المجتمع الدولى بالضغط لوقف العنصرية

الجامعة العربية، بهدف تسليط الضوء على معاناة أهل القدس ودفاعهم عن حقهم فى الحياة على أرضهم وإبراز صمودهم ومحاولة توفير مزيد من الدعم العربى لهم من خلال تمويل مشاريع تنموية فى قطاعات التعليم والصحة والإسكان وغيرها من القطاعات الحيوية فى القدس.

ومن جانبه، أكد السيد أحمد أبو الغيط، فى تصريحات صحفية، عقب لقاء الرئيس الفلسطيني، أهمية عقد مؤتمر القدس لوضع النقاط فوق الحروف، وإظهار حجم التأييد العربى والدولى للجانب الفلسطيني، وقال: «إن الرئيس عباس فى قمة التفاؤل ولديه رؤية واضحة لخطوات مستقبلية مؤكدة.»

وأشار الأمين العام لجامعة الدول العربية إلى أن اللقاء مع الرئيس عباس تطرق لعدة قضايا أهمها مستجدات القضية الفلسطينية وكيفية الدفاع عن المصالح الفلسطينية والخطوات القادمة وكل ما يتعلق بخلق حراك لدعم القضية الفلسطينية.

تصريحات فاشية غير مقبولة

أدانت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بأشد العبارات تصريحات وزير المالية الإسرائيلى «سموتريتش» التى أنكر فيها وجود وحقوق الشعب الفلسطينى التاريخية الثابتة فى وطنه كما وجود الدولة الأردنية حين إستخدم خريطة جغرافية لإسرائيل تشمل المملكة الأردنية الهاشمية إستهتارا بحقائق التاريخ والجغرافيا الراسخة وانتهاكا لقواعد القانون والشرعية والأعراف الدولية.

وقال الأمين العام المساعد لشؤون فلسطين والأراضى العربية المحتلة بالجامعة العربية الدكتور سعيد أبو علي، فى تصريح له بشان تصريحات سموتريتش الأخيرة فى باريس، التى تعكس الحقيقة المكشوفة فى الفكر والسياسات والمخططات الإستعمارية التوسعية والعنصرية للحكومة الإسرائيلية ويؤكد نواياها وأطماعها ومدى الحقد والتطرف الذى بلغت تصعيدا ودفعا بالأوضاع المتردية إلى الإنفجار الشامل فى المنطقة .

وقال الأمين العام المساعد، هذه التصريحات البائسة للوزير الفاشى وغيره من الوزراء والمسؤولين الرسميين الإسرائيليين التى تمثل الطبيعة الإستعمارية العنصرية والإرهابية لن تنتقص أو تنال من وجود وسيادة المملكة الأردنية الهاشمية أو من وجود وحقوق الشعب الفلسطينى الراسخة وهويته ضاربة الجذور فى أرض وطنه .

كما حذر أبو علي، من هذه التصريحات المعبرة عن سياسات ومخططات بالغة الخطورة وما تمثله من تهديد سافر للأمن والسلم فى المنطقة والعالم، وما تمثله أيضا من تحد سافر لإرادة المجتمع الدولى ومواثيقه وقوانينه وأعرافه بما فى ذلك التنكر للجهود الإقليمية والدولية الأخيرة لخفض التصعيد والتدهور والدفع بإتجاه إحياء مسار السلام.

وأكد الأمين العام المساعد، على ضرورة التنبه لخطورة هذه السياسات الإسرائيلية وأهمية مواجهتها بمواقف وإجراءات دولية حازمة دعما وإسنادا لحقوق الشعب الفلسطينى وتجسيدها على الأرض ومتطلبات تحقيق

شهدت مدينة جنين فى الأيام الأولى لشهر مارس/ آذار 2023 مجزرة دموية ارتكبها جيش الاحتلال البريطانى أسفرت عن استشهاد ستة مواطنين فلسطينيين وإصابة العشرات، إضافة لاستهداف المنازل، وتخريب الممتلكات. كما استشهد طفلا فلسطينيا هو وليد سعد داوود نصار متأثرا بجراحه.

الرئيس محمود عباس يجتمع بـ "أبو الغيط" والإعداد لمؤتمر دعم القدس بالجامعة

السلام المنشود فى المنطقة بإنفاذ قواعد القانون وقرارات الشرعية الدولية.

مجزرة جنين

و شهدت مدينة جنين فى الأيام الأولى لشهر مارس/ آذار 2023 مجزرة دموية ارتكبها جيش الاحتلال البريطانى أسفرت عن استشهاد ستة مواطنين فلسطينيين وإصابة العشرات، إضافة لاستهداف المنازل، وتخريب الممتلكات. كما استشهد طفلا فلسطينيا هو وليد سعد داوود نصار متأثرا بجراحه.

وقال بيان صادر عن قطاع فلسطين والأراضى العربية المحتلة بجامعة الدول العربية، إن هذه المجزرة الدموية الجديدة وهى الرابعة منذ بداية العام 2023، تأتى فى سياق الحرب المفتوحة التى تنتهجها حكومة اليمين المتطرف ووزرائها العنصريين المحرضين. وقال الدكتور سعيد أبو علي، الأمين العام المساعد، ورئيس قطاع فلسطين والأراضى العربية المحتلة بالجامعة إن المجزرة تمثل امتداداً لسلسلة المجازر والجرائم المتواصلة والممنهجة بحق الشعب الفلسطينى فى الأراضى الفلسطينية المحتلة وخاصة فى مدن جنين ونابلس وأريحا وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية.

كما أدانت الأمانة العامة للجامعة العربية، اقتحام المستوطنين باحات المسجد الأقصى المبارك، فى أول أيام «عيد المساخر» اليهودي، بحماية من جيش الاحتلال، وكذلك استمرار اعتداءات المستوطنين الإرهابية المتصاعدة اليومية على بلدة «حوارة» بمدينة نابلس والاعتداءات الهمجية على حياة المواطنين الفلسطينيين وممتلكاتهم، استمراراً لممارسة إرهاب الدولة الرسمى المنظم والانتهاكات الجسيمة لكل الأعراف الدولية وأبسط قواعد القانون الدولى والقانون الدولى الإنساني

وحملت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية الحكومة الإسرائيلية المسؤولية الكاملة عن هذه الجرائم المنهجة والخطيرة، وعن تداعياتها على الوضع المتدهور فى الأرض الفلسطينية المحتلة، وانعكاساتها الإقليمية والدولية، وطالبت المجتمع الدولى وبخاصة مجلس الأمن، والمنظمات الحقوقية والمعنية الفاعلة، بالتدخل الفورى لوقف المجازر فى المدن والبلدات والقرى والمخيمات الفلسطينية التى يذهب ضحيتها العشرات من أبناء الشعب الفلسطيني، بما يشمل توفير الحماية الدولية لأبناء الشعب الفلسطينى من تلك الجرائم التى توجب مساءلة مرتكبيها طبقاً لمبادئ القانون الدولى وأحكامه، وعدم السماح للجناة بالإفلات من العقاب، وإنصاف الشعب الفلسطينى فى تحقيق الحرية والاستقلال وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس كباقى شعوب العالم.

تقرير شامل بالانتهاكات

ورصد المركز الفلسطينى لحقوق الإنسان انتهاكات الاحتلال الإسرائيلى فى الأراضى الفلسطينية منذ بداية 2023 وحتى منتصف شهر مارس، وتم حصر عدد الشهداء فى 84 مواطنا منهم 36 مدنيا و12 طفلا وامرأة .

كشف شهود عيان تابعوا الاعتداءات عن وجود فرق خاصة تابعة للجيش الإسرائيلى تقوم بتصفية المواطنين بدم بارد

أبوعلي يؤكد على ضرورة التنبه لخطورة هذه السياسات الإسرائيلية وضرورة مواجهتها بمواقف وإجراءات دولية حازمة .

ومنذ بداية العام، شردت قوات الاحتلال 60 عائلة، قوامها 383 فرداً، منهم 76 امرأة، و171 طفلاً، جراء تدمير 62 منزلاً، منها 16 أجبر مالكوها على هدمها ذاتيًا، و6 دمرت على خلفية العقاب الجماعي. كما دمرت 55 منشأة مدنية أخرى، وجرفت ممتلكات أخرى، وسلمت العديد من الإخطارات بالهدم ووقف البناء، فى الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية.

أما فيما يخص اعتداءات المستوطنين وأعمالهم الانتقامية فمنذ بداية العام، نفذ المستوطنون 143 اعتداءً بحق مواطنين فلسطينيين وممتلكاتهم. أسفرت هذه الاعتداءات عن مقتل خمسة مواطنين، وإصابة عشرات آخرين غالبيتهم نتيجة الضرب والرشق بالحجارة، فضلا عن إحراق عشرات المنازل والمركبات والمنشآت المدنية.

ومنذ بداية العام، نفذت قوات الاحتلال 1976 عملية اقتحام، فى الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، اعتقلت خلالها 974 مواطنا، بينهم 18 امرأة، و130 طفلاً. وفى قطاع غزة، اعتقلت 15 مواطنًا، منهم 6 صيادين، و8 خلال محاولة تسلل، ومسافر عبر على الحاجز، ونفذت 9 عمليات توغل.

ومنذ بداية 2023، نصبت قوات الاحتلال 1207 حواجز فجائية على الأقل، اعتقلت عليها 52 مواطنًا.

تصفية جسدية

وكشف شهود عيان تابعوا الاعتداءات عن وجود فرق خاصة تابعة للجيش الإسرائيلى تقوم بتصفية المواطنين بدم بارد. وتشير وكالة أنباء « وفا» إلى أن هذه الفرق تعمل فى إطار عمليات سرية، ويتميز أفرادها بمهارات القنص والقرصنة والتخريب باستخدام وسائل تكنولوجية مبتكرة ومتقدمة. وتوضح أنه فى عام 2020 صدر كتاب «سيريت ماتكال»، والذى ألفه ضابطان فى جيش الاحتلال، هما أفنير شور وأفيرام هاليفي، ويتحدث عن العمليات السرية التى نفذتها وحدة «اتيمار» التى كانا يعملان بها سابقا. ويتحدث الكتاب عن تفاصيل عمليات الاغتيال التى نفذها جيش الاحتلال منذ عام 1972، وفى سرد لتفاصيل أبرز عملية اغتيال نفذتها الوحدة والتى تعد واحدة من أبرز عمليات الاغتيال منذ الاحتلال الإسرائيلي، تحدث الكتاب بالتفصيل عن عملية تصفية أبو جهاد «خليل الوزير» عام 1988 فى منزله بتونس. ويعتبر حقوقيون أن استخدام إسرائيل لقوات خاصة متخفية بهدف قتل الشبان الفلسطينيين هو جريمة حرب وعمل يتنافى مع كل المواثيق الدولية. وفى هذا الصدد أيضا يقول مدير مؤسسة الحق شعوان جبارين: «سياسات القتل هذه هى إعدامات خارج نطاق القانون، والقانون الدولى يعتبر القتل بعد التخفى هو بمثابة الغدر وهذا ما يسمى جرائم حرب.» ويضيف «القوة الاحتلالية يجب أن يوجد فى الأراضى التى تحتلها قوى بوليسية أو شرطية فقط لكن عمليات الاغتيال التى تقوم بها إسرائيل وإرسال قوات مقاتلة داخل المناطق المحتلة هو عمليات حربية، وهذا انتهاك لاتفاقيات جنيف ولاهاي.»

انتصار الإبداع الفلسطيني

ووسط هذه الأنباء المؤسفة شهدت ساحة الإبداع الفلسطينى حدثا سارا هو فوز الروائى الفلسطينى حسن حميد بجائزة نجيب محفوظ للرواية فى مصر عن روايته «ناغوغى الصغير»، الصادرة عن وزارة الثقافة الفلسطينية العام 2021، فيما فاز الروائى المصرى إبراهيم فرغلى بجائزة أفضل رواية مصرية عن روايته «قارئة القطار». وأوضح بيان المجلس الأعلى للثقافة فى جمهورية مصر تفاصيل الجائزة، والتى أقامتها إدارة المسابقات التابعة للإدارة المركزية للشعب واللجان الثقافية برئاسة الكاتب

لقاء محمود عباس وأبو الغيط فى القاهرة

مجزرة دموية فى جنين تسفر عن شهداء ومصابين جدد وسط إدانات دولية

محمد ناصف، عن فوز الأديب الروائى الفلسطينى حسن حميد بجائزة المسابقة لأفضل رواية عربية.

وقال عاطف أبو سيف وزير الثقافة الفلسطينى معلقا إن الإبداع الفلسطينى دائم الحضور بغزارته الإبداعية والفنية التى تتوج بالفوز، لما للمبدع الفلسطينى من حضور ثقافى فى كافة المحافل العربيّة والعالمية، مضيفا أن هذا الفوز يأتى ونحن نعزز من روايتنا وسرديتنا الوطنية الفلسطينية التى تبطل كل ادعاءات المحتل بتزويره لحقيقة أن هذه الأرض لنا، وخطابها المؤسس على ذاكرة تاريخ عميق وعظيم. ومن جانبه، شكر الروائى حسن حميد لجنة تحكيم الجائزة وللمجلس الأعلى للثقافة المصرية الذين قدّروا مدونة من مدونات السرد الفلسطينى لتحقق الفوز، وتحقق حضورها فى السرد العربي. وثمن دور وزارة الثقافة التى أصدرت ورعت الرواية، مهديا فوزها لشهداء البلاد وللبلاد التى تسكن ذاكرتنا ووعينا. وفى تعليقه على فوز الروائى حميد، قال الأمين العام للاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين مراد السوداني، إنه يمثل تكريما للروائيين والكتاب الفلسطينيين فى الوطن والشتات، وتأكيدا على حضور السردية والرواية الفلسطينية على خارطة الإبداع العربى والعالمي. واعتبر أن الفوز تأكيدا على نقل تراجيديا الواقع الفلسطينى بوقائعه ووجعه، وهو يثبت الفعل المقاوم وقولة المنازلة فى فضح جرائم الاحتلال الإسرائيلي، وتفكيك سياقاته وزيوفه وهو ما فعله حسن حميد فى متوالية رواياته التى تقدم فلسطين نصا رفيع العبارة والإشارة، حيث فكرة فلسطين ومداراتها الجمالية ومعارج بهائها وثقافتها العميقة. وأكد أن حميد استحق هذا الفوز بأرفع جائزة مصرية للرواية، فهو حرى بها، حيث تقدم لها 103 من الروائيين منهم 90 من مصر، و13 من الدول العربية. كما ثمن الدور الذى يقوم به الملحق الثقافى فى سفارة دولة فلسطين لدى مصر الكاتب والروائى ناجى الناجي، على إسناد الفعل الفلسطينى على الساحة المصرية والعالم العربي، بما يعزز وجوده وتأثيره فى لحظة الاشتباك مع رواية الاحتلال الكابية.

من ناحيتها، هنأت سفارة دولة فلسطين لدى مصر الأديب الفلسطينى حسن حميد، لفوزه بالجائزة التى تعد أرفع جائزة للرواية العربية بجمهورية مصر العربية، واصفة الفوز بالانتصار للكتابة الإبداعية التى تجعل من الأسلوب والتقنية السرديتين المحكمتين، وسيلة أنموذجية لنقل الرواية الفلسطينية إلى العالم. وأعربت عن تقديرها للأديب حميد وللكتاب والأدباء الفلسطينيين الذين يجتهدون فى استحداث ومواكبة شتى أجناس الكتابة الأدبية ترسيخا للرواية الفلسطينية، وإعلاء لصوت الحق أمام العالم أجمع، دحضا لزيف الروايات والادعاءات التى يسوقها الاحتلال والمبنية على الأسطورة مستهدفة طمس كل ما هو فلسطينى وقلب الحقائق وسرقة السردية الأم. ومن الجدير ذكره أن الروائى حسن حميد كان قد حصل على جائزة فلسطين التقديرية عن مجمل أعماله الروائية فى العام 2021.

حمّلت الرئاسة الفلسطينية المسؤولية الكاملة عن هذا الإرهاب للحكومة الإسرائيلية، وذكرت أن ذلك يؤكد انعدام الثقة بالوعودات المقطوعة المتعلقة بوقف إرهاب المستوطنين واعتداءاتهم على المواطنين الفلسطينيين، وأن ما قام به المستوطنون يمثل ترجمة لمواقف بعض الوزراء فى هذه الحكومة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة.

وجه أبيض:

فؤاد الشوبكي

شيخ الأسرى الفلسطينيين يتنسم الحرية

اختطفته إسرائيل من أريحا سنة 2006 بتهمة تمويل سفينة «كارين إيه»

استقبال الرئيس عباس للأسير المحرر فؤاد الشوبكي

بعد سبعة عشر عاماً قضاها فى سجون الاحتلال الإسرائيلى ذاق فؤاد الشوبكى نسيم الحرية، ليحتفل به العالم العربي، والشعب الفلسطينى إجلالاً وامتناناً لما قدم من تضحيات فى سبيل قضية فلسطين.

كان أول ما فعله شيخ الأسرى المحرر هو الذهاب إلى قبر الرئيس الفلسطينى الراحل ياسر عرفات ليقرأ على روحه الفاتحة.

ولم يكن غريباً أن يستقبله الرئيس الفلسطينى محمود عباس فى مقر الرئاسة الفلسطينية بمدينة رام الله، ليُهنئه بالإفراج عنه، مؤكدا أن قضية الأسرى تحتل مكانة خاصة فى أولويات قيادة السلطة التى تسعى للإفراج عن كافة الأسرى والمعتقلين من سجون الاحتلال.

تبدو صورة فؤاد حجازى محمد الشوبكى بكوفيته الفلسطينية وبوجهه الطلق الباسم المشرق دليلا دامغا على أن عزيمة وجلد أبطال فلسطين من فولاذ، لا تلين ولا تهدأ فى سبيل الحقوق المشروعة لأبناء الشعب الفلسطيني. يرسم الأسير المحرر بأصابعه علامة النصر، مؤمنا أن أجيالا خلف أخرى قادرة على استكمال الحلم دون خضوع أو تهاون.

ولد فؤاد الشوبكى فى 12 مارس/ آذار 1940 فى حى التفاح بمدينة غزة، ودرس فى كلية التجارة جامعة القاهرة، ومنها حصل على بكالوريوس المحاسبة، وانضم إلى حركة التحرير الفلسطينى «فتح» وتنقل معها عبر كثير من البلدان العربية.

عاد «الشوبكي» إلى فلسطين بعد اتفاق أوسلو سنة 1995 وتولى رئاسة الاتحاد الفلسطينى للفروسية، ورئيس بلدية الزهراء وفى أكتوبر 1997 تم تعيينه رئيسا للمؤسسة الاقتصادية الاستهلاكية العامة، ونظرا لثقة الرئيس الفلسطينى الراحل ياسر عرفات الكبيرة فيه، فقد أصبح «الشوبكي» هو المسئول المالى الأول فى السلطة الفلسطينية.

وفى 3 يناير 2002 نفذت قوات الاحتلال الإسرائيلى عملية عسكرية أطلقت عليها اسم «سفينة نوح» بهدف إيقاف والسيطرة على سفينة «كارين إيه» فى البحر الأحمر، والتى ذكرت أنها تحمل أسلحة للفلسطينيين واتهمت الشوبكى بتمويل عملية شراء الأسلحة وجلبها. وفى مارس من العام ذاته فرضت قوات الاحتلال الإسرائيلى حصارًا على مكتب الرئاسة الفلسطينى فى رام الله، وطالبت بتسليم «الشوبكي» وهو ما رفضته السلطة الفلسطينية، إلى أن تم التوصل لاتفاق برعاية أمريكية بريطانية لمحاكمة الرجل أمام محكمة فلسطينية.

وفى 2006 برأ القضاء الفلسطينى فؤاد الشوبكي، إلا أن قوات الاحتلال الإسرائيلى نفذت عملية عدوان فى أريحا وحاصرت السجن المركزى لتختطف الشوبكى وأحمد سعدات ، وتحاكمه وتقضى عليه بالسجن عشرين عاما، ثم تم تخفيف العقوبة إلى سبعة عشر عاما.

وخلال سجنه رحلت شريكة حياته سنة 2011، وتزوج أربعة من أبنائه الستة وصار لديه اليوم تسعة أحفاد، يراهم للمرة الأولى فى حياته.

وجه أسود:

بتسلئيل سيموتريتش

الشيطان الذى يطالب بإبادة العرب دون رحمة

يعد الوزير والسياسى الإسرائيلى بتسلئيل سيموتريتش نموذجا واضحا للصهيونى المتطرف الذى يُعبر بصدق عن توجهات عنصرية غالبة تسود الكيان الصهيونى وتناقض إطروحات السلام. ففى حديثه عن بلدة حوارة التى تقع جنوب نابلس قال «إنها يجب أن تُمحى من الوجود»، وذلك فى تعليقه على هجوم المستوطنين الإسرائيليين على البلدة وما أسفر عنه ذلك الهجوم فى استشهاد فلسطينى وإصابة العشرات، وهدم كثير من المنازل.

يبدو الوزير الإسرائيلى بعجرفته وغطرسته وعنصريته اللامحدودة نموذجا واضحا على العقلية المتطرفة لمسئولين إسرائيليين يرفضون السلام ولا يلتزمون بمواثيق أو معاهدات دولية، يحكمهم الغرور وتتحكم فيهم الكراهية وتقود أداءهم السياسي.

لقد أثارت التصريحات الإجرامية للوزير الإسرائيلى الذى يترأس حزب الصهيونية الدينية موجات من الغضب الشديد على المستوى الدولي، ما دفع السفير الأمريكى فى إسرائيل نفسه إلى وصفه بأنه شخص غبي. ثم رفضت الولايات المتحدة استقباله مطلع مارس 2023 واعتبرته مصادر دبلوماسية أمريكية شخصا غير مرغوب فى استقباله. كما أدانت الدول العربية دعوة «سيموتريتش» العدوانية، واعتبرتها تحريضا مباشرا على العنف يتنافى مع كافة الأعراف والقيم والمواثيق الدولية.

وسيموتريتش من مواليد سنة 1980، ووالده هو حاييم يروحام حاخام سابق لمدرسة كريات أربع الدينية وكانت واحدة من معاقل حركة كاخ الإرهابية. ونشأ بتسلئيل سموتريتش فى مستوطنة بيت إيل، وانتقل للدراسة فى مدرسة مركاز هراف الدينية التى يتخرج منها قادة اليمين الاستيطاني، وتعتبر بؤرة التطرف التى تخرج منها عدد كبير من الطلبة الذين تحولوا إلى ضباط كبار فى جيش الاحتلال ومخابراته وصحفيين معروفين فى وسائل إعلام كبيرة. ثم واصل تعليمه فى المدرسة الدينية العليا فى مستوطنة كدوميم بالتوازى مع دراسته للحصول على درجة البكالوريوس فى القانون فى كلية أونو الأكاديمية، وتخرج بمرتبة الشرف، ثم درس لنيل درجة الماجستير فى القانون العام والقانون الدولى فى الجامعة العبرية فى القدس، لكنه لم يكملها.

الولايات المتحدة ترفض استقباله.. وسفير واشنطن يصفه بالسياسى الغبي

وكان يقود حركة لمناهضة الفلسطينيين فى مناطق 48 و67 وتحريض الحكومة الإسرائيلية على هدم بيوت الفلسطينيين، وتم إنتخاب الرجل بالكنيست الإسرائيلى سنة 2015، ثم اختير مؤخرا فى الحكومة الإسرائيلية وزيرا للمالية، ومسئولا عن الاستيطان. وكان له دور كبير فى المشاركة فى الأعمال الوحشية التى جرت فى حى الشيخ جراح.

وبتاريخ 29 أيار/مايو من عام 2019، سألته صحيفة «يديعوت احرنوت» العبرية عن مخططه بشأن قطاع غزة، فقال: «أنا سأحتل غزة مجددًا، وسأنزع سلاح جميع القوات المسلحة هناك، وسأقوم بفتح أبوابها أمام الهجرة الجماعية، ويمكن أن يكون هذا بالتأكيد تحركًا إقليميًا مع دول أخرى ويعمل مع أوروبا». وأضاف قائلا «ليس هناك ولن يكون هناك كيان قومى عربى فى أرض إسرائيل بين الأردن والبحر.»

«أنا الأرض/ والارض أنت /خديجة لا تغلقى الباب/ لا تدخلى فى الغياب/ سنطردهم من اناء الزهور وحبل الغسيل/ سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل/ سنطردهم من هواء الجليل/ وفى شهر آذار/ مرّت أمام البنفسج والبندقيّة خمسُ بناتٍ./ سقطن على باب مدرسةٍ ابتدائية./ للطباشيرفوق الأصابع لونُ العصافيرِ/ فى شهر آذار قالت لنا الأرض أسرارها». بهذه الأبيات الساحرة يُؤرخ الشاعر الكبير محمود درويش ليوم الأرض مقتطفا مشهدا داميا من مشاهد 30 آذار 1976 حيث سقطت الشهيدة خديجة شواهنة برصاص الاحتلال بين شهداء آخرين راحوا ضحية الدموية الإسرائيلية فى مواجهة كل مقاومة. ومن يومها يحتفل الفلسطينيون فى الثلاثين من مارس / آذار من كل عام بذكرى شرارة المقاومة، واستشهاد المناضلين ضد اغتصاب الأراضي.

ملحمة كرامة وإصرار على المقاومة

يوم الأرض

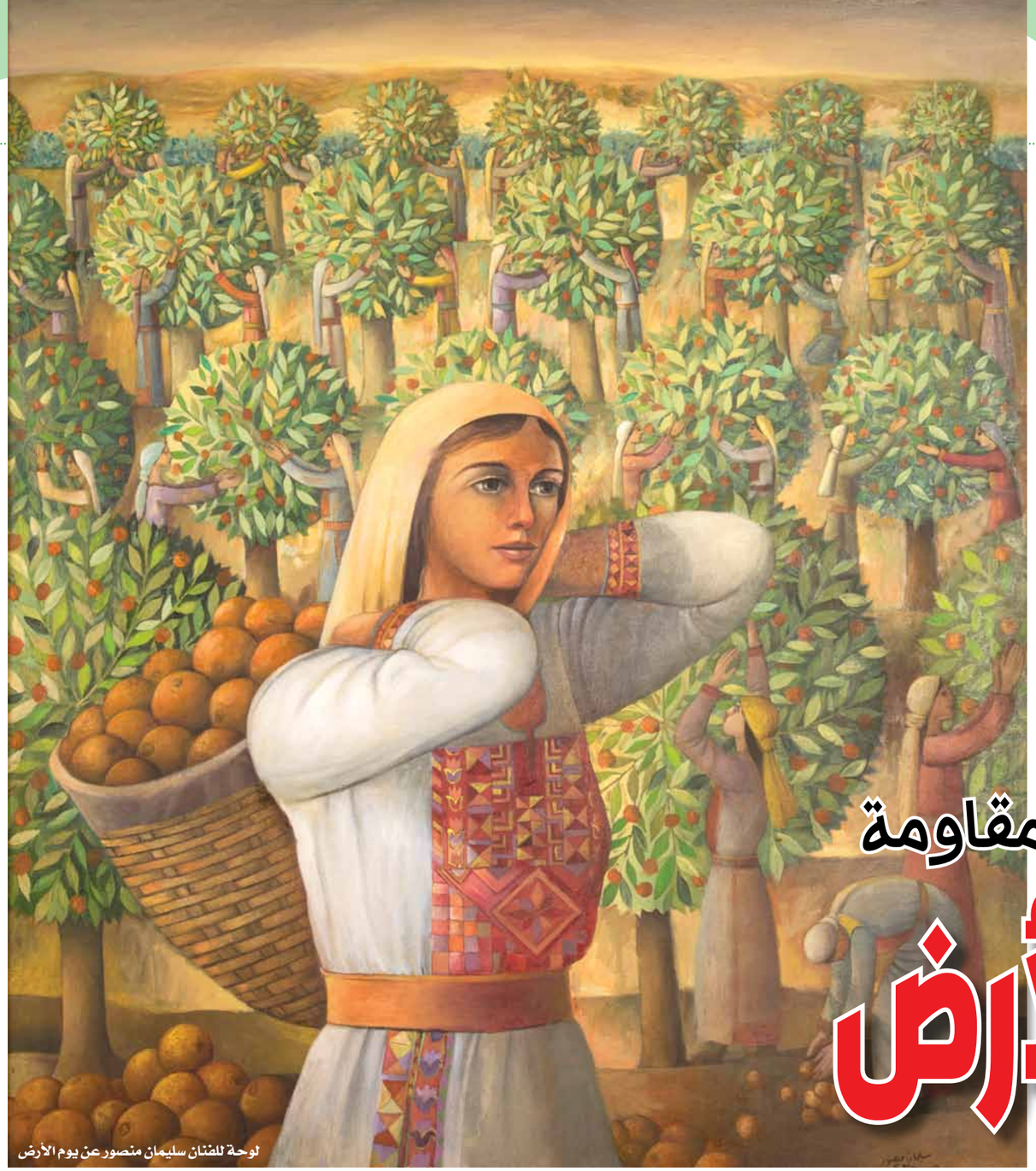

لوحة للفنان سليمان منصور عن يوم الأرض

ذكرى يوم الأرض تُجدد العهد الفلسطيني لمقاومة الاسيتطان واغتصاب الحقوق

لقد كانت الأرض الزراعية عاملا مهما فى تأكيد حق الفلسطينيين العرب لملكيتهم للأراضى المغتصبة من إسرائيل بعد النكبة عام 1948، و أكثر من 150 ألف عربى فلسطينى يمتلك أرضا داخل حدود الدولة الصهيونية الجديدة، وهو ما شكل حجر عثرة أمام المشروع الصهيونى الاستيطاني، لذلك فقد أصدرت الحكومة الإسرائيلية عدة تشريعات للاستيلاء على الأرض منها قانون الأراضى البور، والذى نص على حق إسرائيل فى مصادرة كلّ أرض لم يفلحها أصحابها لأكثر من عام وتوزيعها على جهات أخرى تتعهد رعايتها. إلى جانب قانون أملاك الغائبين الصادر سنة 1950، والذى أعطى العرب الباقين فى فلسطين صفة الحاضر ومنحهم جنسيات إسرائيلية ومنعهم من دخول أراضيهم فتحوّلت الأراضى لبور. كما استخدم هذا القانون أيضا لمصادرة أراضى المواطنين العرب فى إسرائيل بعد تصنيفها فى القانون على أنها «أملاك غائبة». وتشير التقديرات إلى أنه تم بموجب هذا القانون مصادرة أكثر من ألف كيلو متر مربع من أراضى الفلسطينيين خلال الفترة من 1948 إلى 2003.

البداية : مصادرة

وجاءت أحداث يوم الأرض بعد قرار الحكومة الإسرائيلية برئاسة إسحاق رابين ووزير الأمن شمعون بيرس، تحريك مخطط التهويد والاستيطان فى الجليل بمصادرة 21 ألف دونم من أراضى سهل البطوف والمَلّ والشاغور، والتى تعود ملكيتها لمزارعين من سخنين وعرابة ودير حنا وعرب السواعد، وكانت إسرائيل تخطط لإنشاء منطقة عسكرية عليها.

فى البداية رافق قرار الحكومة الإسرائيلية بمصادرة الأراضى إعلان حظر التجول على قرى سخنين، عرابة، دير حنا، طرعان، طمرة، وكابول من الساعة الخامسة مساء يوم 29 مارس 1976.

يوم الأرض الخالد - ٣٠ آذار ١٩٧٦

الشهيدة خديجة شواهنة
سخنين

الشهيد خير ياسين
عرابة

الشهيد محسن طه
كفر كنا

الشهيد رجا أبو ريّا
سخنين

الشهيد خضر خلايلة
سخنين

الشهيد رأفت علي زهيري
نور شمس

أسماء شهداء يوم الأرض

الاسم	العمر	البلد	تاريخ الاستشهاد	مكان الاستشهاد
خير أحمد ياسين	23	عرابة البطوف	1976 /3 /29	عرابة
خديجة قاسم شواهنة	23	سخنين	1976 /3 /30	سخنين
رجا حسين أبو ريا	23	سخنين	1976 /3 /30	سخنين
خضر عيد محمود خلايلة	30	سخنين	1976 /3 /30	سخنين
محسن حسن سيد طه	15	كفر كنا	1976 /3 /30	كفر كنا
رأفت على زهدى	21	مخيم نور شمس	1976 /3 /30	الطيبة

واجتمعت لجنة الدفاع عن الأراضى فى الداخل مع رؤساء البلديات المحلية العربية لبحث سبل التصدى لقرار المصادرة ومخططات التهويد والاستيطان فى الجليل. وفى إجراء أولى أعلن المجتمعون الإضراب العام فى الداخل الفلسطينى يوم 30 مارس/آذار 1976.

فى صباح الإضراب، فرضت السلطات الإسرائيلية حظر تجول على فلسطينيى 48 فى الجليل والمثلث والنقب والمدن الساحلية، وكان هذا استباقا للاحتجاجات والمظاهرات التى أعلنت عنها القيادات العربية ولجنة الدفاع عن الأراضي، والتى تشكلت عام 1975 برئاسة القس شحادة شحادة،

شهداء خالدون واجهوا بصدور عارية رصاص الاحتلال دفاعا عن الحق والعدل

مظاهرات يوم الأرض

لمواجهة مخطط التهويد والاستيطان فى الجليل.

واعتبر الفلسطينيون قرارات المصادرة تهديدا وجوديا لهم أعاد إلى أذهانهم مشاهد النكبة وفصول التهجير، وفى المقابل اتخذت حكومة رابين إجراءات تصعيدية مبكرة عندما قررت إدخال جنود الجيش الإسرائيلى لقمع المظاهرات وكسر الإضراب، وخاصة فى دير حنا وعرابة وسخنين.

ودعا توفيق زياد رئيس بلدية الناصرة العرب ليوم من الاضرابات العامة والاحتجاجات ضد مصادرة الأراضى ، وسارع الفلسطينيون لتلبية نداء المقاومة الشرعية، وبالفعل خرجت مظاهرات خارج مبنى البلدية وتم تفريقها بالغاز المسيل للدموع، وأعلنت الحكومة أن جميع المظاهرات غير قانونية، وهددت بإطلاق النار على المحرضين، خاصة من معلمى المدارس الذين شجعوا الطلاب على المشاركة.

ولما كانت تلك التهديدات غير فعالة لوأد جذوة المقاومة المندلعة فى نفوس الشعب الفلسطيني، فقد خرج الطلاب من الفصول الدراسية وانضموا إلى الإضراب، وكذلك شاركوا فى المسيرات العامة التى جرت فى جميع أنحاء المناطق العربية فى إسرائيل، من الجليل فى الشمال إلى النقب فى الجنوب. وجرت إضرابات تضامنية أيضًا فى وقت واحد تقريبًا فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وفى معظم مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان.

أول شهيد

ومن جانبها حاصرت القوات الإسرائيلية بلدة عرابة بالدبابات، واستخدمت الغاز المسيل للدموع والرصاص الحى لقمع المظاهرات التى بدأت مبكرا، فاستشهد ابن البلدة خير ياسين، وكان أول شهيد فى يوم الأرض. وعقب انتشار نبأ استشهاده، توالت مظاهرات الغضب فى كل أنحاء الجليل والمثلث والنقب.

47

سنة على أول مواجهة مُنظمة لمقاومة مصادرة الأراضى الفلسطينية

وسرعان ما تحولت مسيرات الغضب إلى مواجهات صادمة مع الجيش الإسرائيلي، وكانت هذه المواجهات غير مسبوقة فى بلدة سخنين، التى استشهد فيها ثلاثة فلسطينيين، هم خديجة شواهنة ورجا أبو ريا وخضر خلايلة.

كانت عائلة خديجة قاسم شواهنة تجلس على مصيف بيتهم فى قرية سخنين، حين سمعوا صوت إطلاق رصاص فى القرية، فدخلوا إلى البيت ليكتشفوا أن خالد البالغ من العمر 8 سنوات ليس معهم، فأرسل الوالد خديجة للبحث عن أخيها ظنًا منه أن الجنود الإسرائيليين الذين فرضوا حظر التجوال فى حينها، لن يقتلوا خديجة، ولكن عندما خرجت خديجة باغتتها قوة عسكرية إسرائيلية ومن شدة خوفها دارت للعودة للبيت لكن جنود إسرائيل أطلقوا بدم بارد رصاصة على ظهرها لتسقط شهيدة.

وفى دير حنا استُشهد أحد الفلسطينيين، وأُصيب عدد آخر بجراح وأعلن العدو أن 38 جندياً صهيونياً قد أُصيبوا بجراح، وآن ست سيارات عسكرية قد أُحرقت.

وفى بلدة الطيبة فى المثلث، عند حدود الأراضى المحتلة عام 1967، وبالقرب من طولكرم فى الضفة الغربية، اقتحم جنود إسرائيليون البلدة وأطلقوا النار عشوائيا وبشكل هيستيرى على الحشود المتظاهرة، فاستشهد على الفور رأفت الزهيرى ابن مخيم نور شمس للاجئين فى طولكرم، وأصيب العشرات الآخرين.

أما فى الناصرة فقد شمل الإضراب حوالى 80 فى المائة من المدينة، وانتهزت قوات الاحتلال الصهيونية فرصة الإضراب للاعتداء على رئيس بلديتها، فقامت بمداهمة منزله بحجة ملاحقة بعض الفتيان الذين رجموا قوات الأمن بالحجارة والزجاج وقنابل المولوتوف واعتدت بالضرب على زوجته وابنته.وتدافع الشباب فى المدينة على المستشفيات للتبرع بالدم لعشرات الجرحى، الذين نُقلوا من القُرى العربية إثر الاشتباكات.

ساحة حرب

وفى طمرة حوّلت الشرطة ساحة البلدة إلى ساحة حرب استخدمت فيها المجنزرات والسيارات العسكرية، و تعرضت القرية لاعتداءين من قِبل رجال الشرطة، وشوهدت بعض السيارات المحترقة عند مدخل القرية واعتصم عدد من الفلسطينيين فى المجلس المحلى احتجاجاً على تصرف رئيس المجلس الذى استدعى قوات الاحتلال لتفريق المتظاهرين.

وفى باقة الغربية، خرج الأهالى إلى شوارع القرية فى تظاهرة كبيرة متحدية قوات الشرطة، التى كانت تتجول فى شوارع القرية منذ يوم 29/3 والتى قامت بدورها باعتقال عدد من الشبان. وفى كسرى، تصدى الأهالى لجرافات الاحتلال التى كانت تحميها قوات من الشرطة بهدف مصادرة الأراضي، ومنعوا الجرافات من دخول القرية، وأقسم الجميع على التمسك بالأرض ومقاومة أى مصادرة جديدة.

أما فى كفر قاسم أضربت المتاجر والمدارس وتجمهر حوالى ألف شاب فى ساحة المجلس المحلي، وهتفوا هتافات وطنية، ثم ساروا فى مسيرة صاخبة إلى الأسلاك الشائكة التى أقامتها إدارة أراضى الكيان الصهيونى حول أراضيهم المصادرة واقتلعوها فاعتقلت الشرطة بعض الفلسطينيين، وفرقت المظاهر بالقوة.

وفى قلنسوة وضع المتظاهرون حواجز فى الطرق، وأحرقوا إطارات السيارات وكان الإضراب عاماً، وتدخلت قوة من

الشرطة وحرس الحدود لتفريق المظاهرة وإزالة الحواجز.

وأضربت قرية الرامة عن بكرة أبيها معلنة سخطها، وتجمعت الجماهير أمام كنيسة الأرثوذكس لتُعلن استنكارها لجرائم القتل الوحشية ومصادرة الأراضي.

وفى قرية نحف داهمت قوات كبيرة من قوات الأمن القرية، وبدأت تضرب البيوت بالقنابل المسيلة للدموع، وتعتدى على الفلسطينيين وقامت بحملة تفتيش واسعة واعتقلت بعض الشباب. أما فى مجد الكروم ، فقد سارت تظاهرة كبيرة اخترقت شوارع البلدة، وتوجهت إلى الجامع حيث قرأت الفاتحة على أرواح شهداء الأرض، ثم توجهوا إلى المجلس المحلى وطالبوا باستنكار المذابح الوحشية ومصادرة الأراضي؛ كما أضربت كل من قرى دير الأسد والبعنة وأبو سنان وكفر ياسيف وشفا عمرو وعبلين وكابول.

وتوالت ردود الأفعال الغاضبة من جانب الفلسطينيين، وتعاطفت الشعوب العربية وكثير من شعوب العالم مع الفلسطينيين العزل الذين حاولوا الاعتراض على اغتصاب حقوقهم بشكل طبيعي، وسيرت مظاهرات التعاطف والمساندة فى كثير من العواصم العربية.

جريمة فاضحة

لقد كانت الجريمة الإسرائيلية فاضحة بما يكفى لتؤرق الضمير العالمى بما شهده من وحشية الإحتلال تجاه المواطنين. وأسست الهبة الفلسطينية المجابهة لروح إنتفاضة عظيمة يتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل.

يقول «درويش» فى قصيدته عن الأرض : «مساءً صغيرٌ على قرية مُهملهْ/ وعيناك نائمتانْ/ أعودُ ثلاثين عاماً/ وخمسَ حروبْ/ وأشهدُ أنّ الزمانْ/ يُخبئ لى سنبلهْ/ يغنّى المغنّي/ عن النار والغرباء/ وكان المساءُ مساء/كان المغنّى يُغَنّي/ يستجوبونه: لماذا تُغني؟/ يردُّ عليهم، لأنى أغني/ وقد فتّشوا صدرهْ/ فلم يجدوا غير قلبهْ/ وقد فتّشوا قلبهْ، فلم يجدوا غير شعبهْ/ وقد فتشوا صوتهْ/ فلم يجدوا غير حزنهْ، وقد فتّشوا حزنهْ/ فلم يجدوا غير سجنهْ/ وقد فتّشوا سجنهْ/ ولم يجدوا غيرهم فى القيود/ وراء التّلال/ ينامُ المغنّى وحيداً/ وفى شهر آذار/تصعدُ منه الظلال.»

ويقول الشاعر معين بسيسو: « تفاجئنى الأرض أن الشجر/ يخبئ أسلحة والقمر/ يقوم بطبع المناشير/ يا نجمة فى الجليل/ويا تينة فى الخليل/ تفاجئنى الأرض/ إن أكف الصبايا /مرايا / وكف الشهيد بحجم السماء.»

ومن يومها وفى كل عام يُحيى الفلسطينيون ذكرى يوم الأرض تذكيرا بجرائم الدولة الصهيونية المحتلة، و تأكيدا منهم على عدم التفريط فى أرضهم، وإعلانا دائما بحق الإنسان فى كل مكان فى العيش على أرضه ومقاومة أى اعتداء عليها.

وكما قال الزعيم أبو عمار فإن «الدفاع عن الأرض هو دفاع عن السلام ومن أجل السلام وحتى نضع حدا لأعمال العنف والارهاب والتطرف التى تحركها قرارات الحكومة الاسرائيلية وسياستها بمواصلة نهب ومصادرة الأراضى الفلسطينية والتوسع الاستيطانى فيها. فهذه السياسة التى تتنافى مع روح السلام الذى ننشده والذى يحظى بدعم وتأييد كافة القوى المحبة للسلام والحرية والديمقراطية هذا السلام الذى يجب ان يكفل للشعب الفلسطينى انهاء الاحتلال الاسرائيلى لأرضه ومقدساته واستعادة حقوقه الوطنية الثابتة وفى مقدمتها حقه فى العودة وتقرير وإقامة دولته المستقلة وعاصمته القدس الشريف.»

وعلى مدار السنوات الماضية وحتى اللحظة، يواصل الشعب الفلسطينى مقاومته وتطوير أدوات المقاومة فى سبيل تحرير أرضه ومقدساته، مقدمًا فى سبيل ذلك التضحيات الجسام من آلاف الشهداء والجرحى وهدم المنازل وتشريد الأسر، فيما بات الاحتلال الإسرائيلى يدفع فاتورة مضاعفة لثمن احتلاله لفلسطين..

جاءت أحداث يوم الأرض بعد قرار الحكومة الإسرائيلية برئاسة إسحاق رابين ووزير الأمن شمعون بيرس، تحريك مخطط التهويد والاستيطان فى الجليل بمصادرة 21 ألف دونم من أراضى سهل البطوف والمِلّ والشاغور، والتى تعود ملكيتها لمزارعين من سخنين وعرابة ودير حنا وعرب السواعد، وكانت إسرائيل تخطط لإنشاء منطقة عسكرية عليها

تقرير لـ «وفا» عن التحريض والعنصرية في وسائل الإعلام الصهيونية

رصدت وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، التحريض والعنصرية فى وسائل الإعلام الإسرائيلية، فى الفترة ما بين 26 شباط/فبراير الماضي، وحتى 4 من شهر آذار/مارس الجاري.

وكشف التقرير أن صحيفة «معاريف» فتحت منصة تحريضية لسموتريتش، الذى لا يخفى تصريحاته بمحو حوارة أو الرد غير المتناسب للجيش على كل ما أسماه «أعمالا إرهابيّة». ونقلت الصحيفة عنه قوله: «قلت إننى أؤيد الرد غير المتناسب من قبل الجيش الإسرائيلى وقوات الأمن على كل عمل إرهابى مقابل كل حجر، إغلاق المحلات التجارية على الفور، ومقابل كل زجاجة حارقة، اعتقالات وترحيل لعائلات الإرهابيين، ومقابل كل خلية إرهابية، إغلاق وتدفيع ثمن مؤلم حتى يدرك الإرهابيون وأنصارهم أن دماء أبنائنا لا تذهب سدى، والإرهاب ليس برابح.. هذا هو السبيل للتعامل مع الإرهاب ولمنع الضحايا فى المستقبل».

وكرر سموتريتش تصريحه بـ«أن الدولة يجب أن تمحو بلدة حوارة».. وقال: «مرة أخرى وسائل الاعلام تقتبس أقوالى وتحاول خلق تحليلات مشوهة، لو نشروا المقطع الكامل لأقوالى لكنتم سمعتم أننى قلت إن حوارة قرية

وسائل الإعلام الإسرائيلية نقلت تصريحا لوزير «الأمن القومي» إيتمار بن غفير: «حسب هذا القانون لن يرى القاتلون ضوء النهار. هذا القانون يعتبر قانونا أخلاقيا وصحيحا ومطلوبا لمحاربة الإرهاب».

عدائية، وتحوّلت للمركز الأول للإرهاب الذى يخرج منه كل يوم نشاطات ارهابية، لكن ممنوع بكل الأحوال تطبيق القانون من قبل المواطنين».

وفى «يسرائيل هيوم»، قال الكاتب أمنون لورد فى تعليقه على إرهاب المستوطنين فى حوارة، إن «القضية هى سيادة القانون. قد نتجادل حول مفاهيم الديمقراطية وسيادة القانون. لكن للحظة لا شك أنه دون سيادة القانون لا توجد ديمقراطية ولا انتخابات حرة، يعبر من خلالها الشعب عن سيادته. السؤال الأول الذى يطرحه الجميع هو: الشغب الإجرامي، إحراق عشرات المنازل

والسيارات وإصابة العديد من الضحايا، لا يمكن أن يمر دون تحقيق واعتقال الجناة، لكن لماذا لا يحدث هذا؟ لأن السلطات المسؤولة عن تطبيق القانون فى إسرائيل منشغلة بملاحقة كبار المسؤولين الحكوميين والإشراف عليهم، ونسيت الهدف الأساسى المتمثل فى الحفاظ على القانون والنظام، كما أنها منشغلة فى ملاحقة الإرهابيين الذين قتلوا الشابين فى حوارة».

وتابع: «يمكن للمرء أن يفهم، لماذا لم تكن قوات الأمن موجودة فى الوقت المناسب لإيقاف منفذى الحرائق فى حوارة. فالقوى على اختلاف أنواعها كانت مركزة فى مطاردة الإرهابيين ومحاولة منع تكرار عملياتهم، وهذا أمر مفهوم، لأن هذه هى الغريزة السليمة لجيش الدفاع الإسرائيلي».

وزير الاقتصاد فى حكومة الاحتلال نير بركات، هاجم بدوره السلطة الوطنية الفلسطينية بشدة، فى تصريحات نقلها موقع القناة السابعة، وقال: «لا يعقل أن السلطة الفلسطينية ستدفع للمخرب الحقير الذى قتل يهوديا لمجرد أنه يهودى على شارع 90، مليون دولار. ماكينة الإرهاب التابعة للسلطة الفلسطينية تشعل العملية القادمة».

وفى السياق ذاته، وفى إطار إفراد الإعلام الإسرائيلى مساحات للمسؤولين الإسرائيليين للتحريض على العنف والقتل، نقل «راديو 103 اف ام» عن وزير «شؤون التراث» عميحاى الياهو قوله: «من يرفع يده على جندى يجب تكسير عظامه»، ادعو إلى تحرك السفينة بسرعة، سياسة الاحتواء التى كانت متبعة فى الثلاثة عقود الأخيرة يجب ان تتغير لأنها لم تثبت نفسها، ولدينا الشعور ان إحداث التغيير فى الأجهزة يستغرق وقتًا طويلا».

وتابع: «نريد استرجاع الردع، الإرهاب الفردى يعتبر منهجية، فهذا ليس إرهابا فرديا، فمنفذو العمليات نشأوا فى أجواء جهزتهم لذلك. يوجد هنا مجتمع شامل يشجع الأولاد على قتلنا، نحن لا نستطيع التعامل معه على أساس إرهاب فردي، يوجد هنا جهاز تربية وتعليم يدعسنا، ويوزع الحلوى عندما يتم قتل أولادنا. لا نستطيع استرجاع الردع طالما لا نحتوى الإرهاب كل الوقت». وتطرقت وسائل الإعلام الإسرائيلية أيضا إلى مشروع القانون الذى تسعى حكومة الاحتلال إلى إقراره والمتعلق بإعدام الأسرى الفلسطينيين.وفى هذا السياق، نشرت «مكور ريشون» مقالا تحليليا حول وضع القانون، فى تأييد واضح له، حيث هاجمت «يهودوت هتوراه» لأنه لن يدعم القانون، مبينة أنه سيمر رغم ذلك.

ونقلت تصريحا لرئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو يقول إن «هذه واحدة من الخطوات للرد على موجة الإرهاب، حكومتنا تغير القواعد ونحن نعمل ضد الإرهاب فى اتخاذ كل الخطوات: إحباط، عمليات استخباراتية، عقوبات، والآن تشريع قوانين طرد عائلات المخربين وتطوير قانون حكم الإعدام للمخربين».

كما نقلت تصريحا لوزير «الأمن القومي» إيتمار بن غفير: «حسب هذا القانون لن يرى القاتلون ضوء النهار. هذا القانون يعتبر قانونا أخلاقيا وصحيحا ومطلوبا لمحاربة الإرهاب».

صحيفة «معاريف» فتحت منصة تحريضية لسموتريتش، الذى لا يخفى تصريحاته بمحو حوارة أو الرد غير المتناسب للجيش على كل ما أسماه «أعمالا إرهابيّة». ونقلت الصحيفة عنه قوله: «قلت إننى أؤيد الرد غير المتناسب من قبل الجيش الإسرائيلى وقوات الأمن على كل عمل إرهابى مقابل كل حجر، إغلاق المحلات التجارية على الفور، ومقابل كل زجاجة حارقة، اعتقالات وترحيل لعائلات الإرهابيين، ومقابل كل خلية إرهابية، إغلاق وتدفيع ثمن مؤلم حتى يدرك الإرهابيون وأنصارهم أن دماء أبنائنا لا تذهب سدى، والإرهاب ليس برابح.. هذا هو السبيل للتعامل مع الإرهاب ولمنع الضحايا فى المستقبل».

تظاهر الآف الإسرائيليين، ضد رئيس الوزراء نتنياهو، للمطالبة باستقالته بسبب قضايا الفساد وكذلك فشله وحكومته فى التعامل مع الأزمة الاقتصادية

الأكاديمى الإسرائيلى عيران باشيف يكتب:

إسرائيل ضعيفة إقتصاديا وغير ديمقراطية وستتحول إلى دولة عدوانية

كتب عيران باشيف الأكاديمى الإسرائيلى فى جامعة تل أبيب عن تصوراته بشأن الانقلاب القضائى الجارى قال فيه: كنتيجة مباشرة للانقلاب القضائي، من الممكن أن نتوقع نشوء واقع جديد فى الشرق الأوسط. هذا الواقع سيتميز بإسرائيل ضعيفة، لكنها عدوانية، وستكون فى توازُن رعب أمام إيران نووية. الآن، هناك حوارات بشأن التشريعات التى تتعلق بالنظام القضائي، ويمكن لهذا السيناريو أن يتغير، ولكن من المهم جداً فهمه فى سياق هذه الحوارات.

هذه الديناميكية ممكنة لتطوُّر السيناريو المذكور أعلاه: يؤدى الانقلاب القضائي، حتى لو كان بصيغة مخففة، إلى أضرار اقتصادية وهجرة فئات قوية اقتصادياً. هذه الأضرار ستتفاقم بسبب إضعاف القضاء، وهو ما يؤدى إلى هروب المزيد من المستثمرين، ويتم تحويل جزء كبير من الميزانيات إلى فئات غير منتجة، وبالتالى ستنمو سوق غير قانونية، وحتى جنائية، تؤدى بدورها إلى مزيد من الفساد الحكومي.

التغييرات القضائية ستحول إسرائيل إلى دولة ضعيفة اقتصادياً. الدول الضعيفة تميل إلى العدوانية

هذه الظروف تدفع بمزيد من الفئات القوية اقتصادياً، وضمنها التكنولوجيا العالية الدقة، إلى ترك البلد وأخذ مساهمتها المهمة فى الناتج والمجتمع والضرائب.

ومن المهم التشديد على أن: إسرائيل تتميز بسوق متعددة جداً، وغير موحدة. فيها فئات قوية جداً وضعيفة جداً. مقطورة النمو الأبرز هى قطاع التكنولوجيا العالية الدقة، والذى يساهم فى ربع الضرائب لخزينة الدولة. لذلك، فإن التكنولوجيا العالية الدقة هى مساهم مهم جداً للفئات المهمة. وتركها البلد، ولو جزئياً، سينقل السوق إلى مرحلة جديدة. لا أود هنا الدخول فى تفاصيل الانهيار الاقتصادى الذى بدأ، وذلك بأننى وزملائى وصَفنا هذا المسار كثيراً خلال الأسابيع الماضية.

هذه التغييرات القضائية ستحول إسرائيل إلى دولة ضعيفة اقتصادياً. الدول الضعيفة تميل إلى العدوانية، وخصوصاً أن قياداتها تعلن وجود أعداء داخليين وخارجيين، بهدف رصّ الصفوف داخل الشعب خلفها، وتحميل الأعداء الداخليين والخارجيين مسؤولية ضعفها وفشل قياداتها. هذه طريقة عمل معروفة لدى الحكومات الشعبوية والقومية. هناك نماذج كثيرة من ذلك، وبصورة خاصة فى جنوب أميركا، وروسيا، ودول أفريقيا. تشير نتائج أبحاث على عيّنة من 200 دولة تقريباً إلى أنه توجد علاقة إيجابية ما بين ضعف الدولة وقيامها بمنح غطاء للإرهاب، وتدخّلها فى نزاعات عسكرية.

ونشرت مجلة «Foreign Policy» مؤشر للدول الضعيفة وجاءت إسرائيل فيه فى المرتبة 146 باعتبارها دولة مستقرة ولكن إذا تحقق السيناريو، فإنها ستصعد سريعاً على سلّم الضعف. أمثلة لذلك من الأعوام العشرة الأخيرة: هنغاريا صعدت بسرعة مشابهة من الدرجة 141 إلى الدرجة 133؛ تركيا صعدت من الترتيب 91 إلى 57 خلال 14 عاماً. المشترك بين هذه الدول فى الفترات الماضية، هو أنها تحولت من وضعية دول ديمقراطية إلى دول مع نظام ديكتاتورى صلب يحكمه قائد واحد قوى شعبوي، يقمع حقوق الأقليات. العدو الداخلى الأول الذى سيتم الهجوم عليه لدينا هو عرب إسرائيل. وبحسب التاريخ المتراكم، يمكن توقُّع استمرار الهجوم على النواب العرب والبلدات العربية، بالإضافة إلى قوانين تضيّق عليهم، كقانون القومية وخطوات أكثر حدة، كتقليص حق التصويت للكنيست، بذرائع مختلفة.

العدو الخارجى سيستمر بكونه إيران أساساً. إذا تحولت إسرائيل إلى ضعيفة اقتصادياً، وعدوانية فى الوقت نفسه، فإنها ستدفع بإيران إلى تخطّى مكانة دولة عتبة نووية. فعملياً، لن يكون لديها أى بديل. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لن يتم منح إسرائيل، الضعيفة وغير الديمقراطية، الضوء الأخضر من الولايات المتحدة للهجوم على إيران، وحتى ليس لضربة استباقية. عملياً، ستتحول إسرائيل إلى حمل استراتيجى ومشكلة استراتيجية للغرب. وستكون النتيجة توازُن رعب فى الشرق الأوسط، بكل ما يتضمنه من مخاطر. وفى المقابل، هناك فى إسرائيل مسار طويل الأمد تتعزز فيه قوة فئات تريد تحويل إسرائيل إلى دولة شريعة. الفئة الأولى هى الحريديم [اليهود المتشددون دينياً]12%- من مجمل السكان فى إسرائيل. الفئة الثانية هى المتدينون القوميون، ولديها حجم مشابه بتقديرات محافظة. تمثيل الفئتين المباشر فى الكنيست الآن 32 عضواً، وهو ما يعكس نسبة 25% من المجتمع الذى صوّت للأحزاب الثلاثة ذات الصلة. ومن المتوقع أن يزداد حجمهما الديموغرافي. يكفى النظر إلى معطيات التصويت فى القدس، المدينة التى تتنبأ بالمسارات الطويلة المدى فى إسرائيل، لفهم كيف سيكون المستقبل غير البعيد: أحزاب حصلت على 56% من أصوات الناخبين فى 1 تشرين الثاني/نوفمبر 2022.

إن إسرائيل ستكون أشبه بإيران، دولة لديها موارد طبيعية وبشرية كثيرة، تحولت إلى ديكتاتورية فى سنة 1979. إيران لم تتحرر من نظام غير ديمقراطى أو دينى منذ 44 عاماً، جزء كبير من المواطنين النوعيين غادروا، اقتصادها أصبح أضعف أكثر بكثير من القوة الكامنة لديها، وتشغلها الحروب والإرهاب. إيران موجودة فى الترتيب الـ 39 بين الدول الضعيفة.

وهذا السيناريو سيتحول إلى حقيقى إن لم تحدث تغييرات جدية فى المسارات السريعة التى تقوم بها الحكومة لتحويل إسرائيل إلى دولة غير ديمقراطية، بما معناه دولة من دون توازنات بين السلطات الثلاث. إن التخوف من هذه التطورات لن يبقى همّ المواطنين الإسرائيليين فقط، يمكن الاعتقاد أن قيادات الدول الغربية ستعبّر أيضاً عن هذه المخاطر، ويمكن أن يكون رأيها مؤثراً فى مرحلة ما. حالياً، لا توجد أى إشارة إلى نشاط من طرفها. ونحن مستمرون فى طريقنا نحو الكارثة.

التغييرات القضائية ستحول إسرائيل إلى دولة ضعيفة اقتصادياً. الدول الضعيفة تميل إلى العدوانية، وخصوصاً أن قياداتها تعلن وجود أعداء داخليين وخارجيين، بهدف رصّ الصفوف داخل الشعب خلفها، وتحميل الأعداء الداخليين والخارجيين مسؤولية ضعفها وفشل قياداتها. هذه طريقة عمل معروفة لدى الحكومات الشعبوية والقومية. هناك نماذج كثيرة من ذلك تشير نتائج أبحاث على عيّنة من 200 دولة تقريباً إلى أنه توجد علاقة إيجابية ما بين ضعف الدولة وقيامها بمنح غطاء للإرهاب، وتدخّلها فى نزاعات عسكرية.

الاقتصاد الاسرائيلى يواجه ظروفا صعبة فى ظل حكومة نتنياهو

نشرت صحيفة «هآرتس»، فى عددها يوم 8 مارس 2023 تقريرا حول تحذير وكالة موديز للتنصيف الإئتمانى من الأضرار التى قد تُلحقها خطة حكومة نتنياهو لإضعاف الجهاز القضائى بالاقتصاد الإسرائيلي.

وجاء فى بيان صادر عن هذه الوكالة أن الإصلاحات المقترحة من شأنها أن تُضعف المؤسسات، وأن يكون لها تأثير سلبى فى التصنيف الائتمانى لإسرائيل. وأضاف البيان أن هذه التغييرات القضائية قد تضرّ بإمكانيات النمو القوية لإسرائيل، وتزيد فى المخاطر الجيوسياسية فى المدى الطويل.

وأوضحت «فيتش» أن الإصلاح القضائى لا يزال من الممكن أن يؤثر سلباً فى الوضع الائتمانى لإسرائيل.

وفى سياق متصل، تراجعت المؤشرات المركزية فى بورصة تل أبيب خلال الأيام الماضية، كما تواصل تراجُع قيمة الشيكل فى مقابل الدولار واليورو، الأمر الذى دفع مزيداً من الجمهور فى إسرائيل، وليس الشركات فقط، إلى سحب ودائع استثمارية وتحويلها إلى خارج البلد.

ويحذّر كبار خبراء الاقتصاد الإسرائيليين من أن خطة إضعاف الجهاز القضائى قد تُلحق أضراراً غير مسبوقة بالاقتصاد الإسرائيلي، بما فى ذلك تخفيض تصنيف إسرائيل الائتمانى على غرار ما حدث فى دول مثل بولندا وهنغاريا.

معاريف: العلاقات الإسرائيلية الأمريكية تزداد إضطراباً

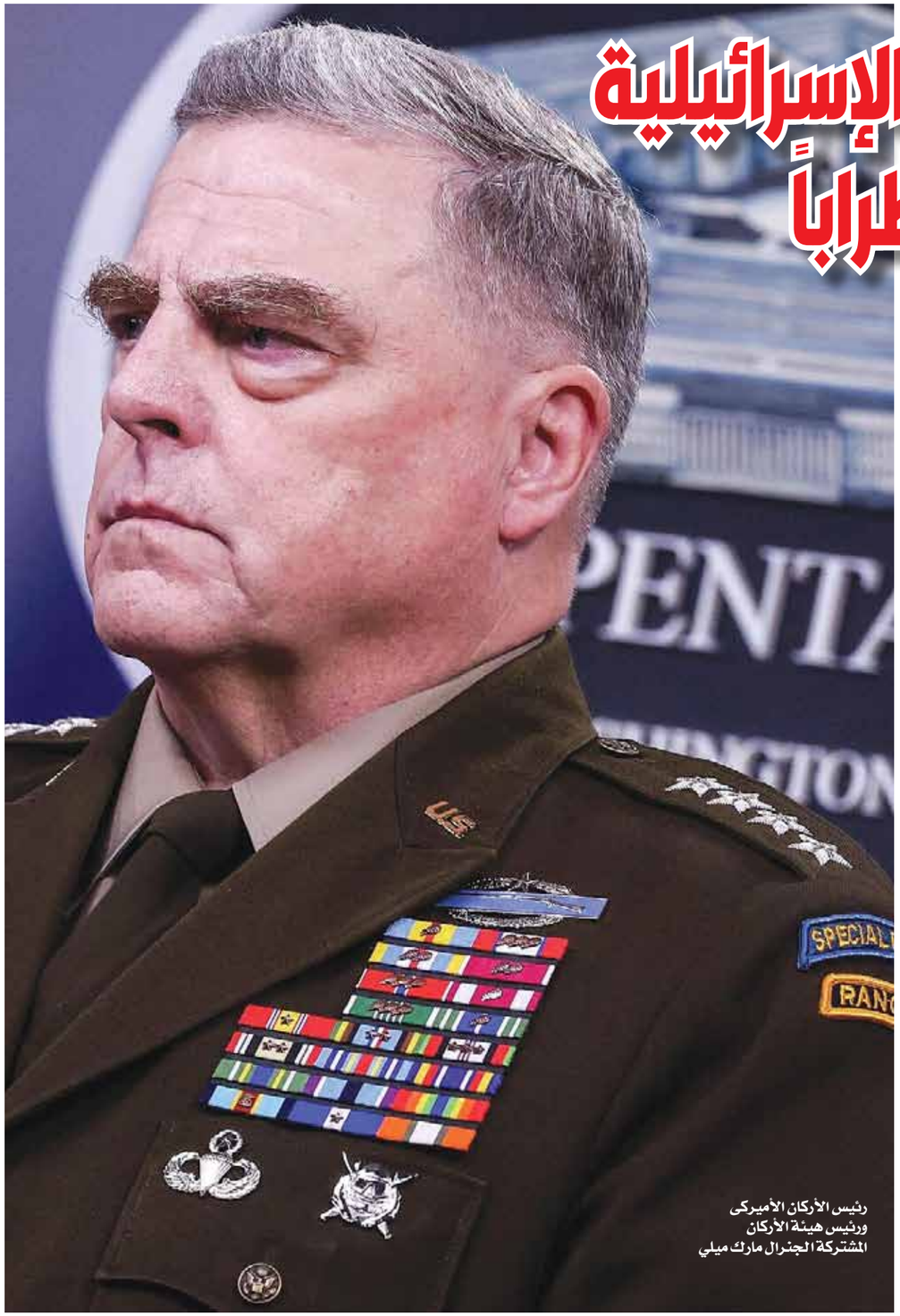

رئيس الأركان الأميركى ورئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال مارك ميلي

نشرت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية يوم 6 مارس 2023 تحليلا سياسيا للمحلل بن كسبيت أشار فيه إلى إضطراب كبير فى العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة.

وقال التحليل «بينما نحن مشغولون بخطة الرئيس والاحتجاج والانهيار المحتمل لمنظومة الاحتياطيين، والانهيار الاقتصادى الذى يلوح فى الأفق، فإن القصة الحقيقية تجرى بين واشنطن والقدس. فى يوم الجمعة، كان هنا رئيس الأركان الأميركى ورئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال مارك ميلي، هو لم يطلب اجتماعاً مع رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، ووفقاً لمصادر أميركية، لو عرضوا عليه مثل هذا الاجتماع لكان رفضه.»

وأضاف أن الجنرال ميلى التقى وزير الدفاع الإسرائيلى يوآف غالانت ورئيس الأركان اللواء هرتسى هليفي، وبحسب مصادر مطلعة على مضمون المحادثات، ما جرى هو تكتيك غير مسبوق فى العلاقات الإسرائيلية - الأميركية يتطابق مع البيان الأميركى الحاد والمهين، الذى صدر ضد وزير المال بتسلئيل سموتريتش بعد كلامه عن موضوع قرية حوارة.

لقد كان الأميركيون، ومن بينهم رئيس الأركان، واضحين فى لقاءاتهم، وعبّروا عن ذلك بحدة: «إذا أردتم الاستمرار فى الكلام والتنسيق معنا فى موضوع إيران والتطورات المهمة فى هذا المجال، فقد حان الوقت لتهدئة المناطق. لن نوافق على الدخول فى لعبة مزدوجة، إذا أردتم الحديث عن إمكانية تزويد روسيا إيران ببطاريات صواريخ أس - 4000 كما ذكرنا. الولايات المتحدة لن توافق على سياسة إشعال الحرائق فى الضفة الغربية، وأن تتصرف كأن شيئاً لم يكن. عندما نرسل مندوبين رفيعى المستوى إلى مؤتمر العقبة، أنتم ترسلون رئيس مجلس الأمن القومى ورئيس الشاباك وضباطا من رتبة لواء، وفى اليوم التالي، تقولون «ما جرى فى العقبة يبقى فى العقبة» معنى هذا أنه ليس لدينا نقاش معكم وأنتم تتحدثون مع أنفسكم. إذا كنتم بحاجة إلى الولايات المتحدة، فعليكم التصرف وفق ذلك. لا نقبل أن نتفق معكم على أمور، وفى الليلة ذاتها تحرقون حوارة، وبعدها يقول وزير مالكم أنه يجب محو القرية.»

وتابع التقرير « إن هذا الكلام أُرسل إلى إسرائيل عبر قنوات كثيرة، وليس فقط فى الاجتماع مع رئيس الأركان الأميركي، وعموماً، هو كلام غير مسبوق، ويذكّر كثيراً باللحظات السيئة أيام فترة أوباما، عندما فاجأ نتنياهو الرئيس الأميركى وجاء ليخطب فى الكونغرس من وراء ظهره. لكن مع فارق واحد، بحسب مصدر مطّلع على الاتصالات بين الطرفين: «حتى فى أصعب اللحظات، حافظت الرتب المهنية، عموماً، فى الجيش الإسرائيلى والجيش الأميركى على اتصالات ثابتة وتعاوُن وثيق، على الرغم من كل شيء، ولم تعطل الأزمات السياسية ولا مرة التعاون العسكرى والاستخباراتى وقنوات العمل. الآن، الوضع مختلف، نحن نسمع من مسؤولين أميركيين أمنيين اشمئزازا واضحا.»

وبحسب بعض الروايات، فإن التعاون الاستخباراتى بين الأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية والأجهزة الاستخباراتية الغربية يتزعزع. لم أجد إقراراً رسمياً بذلك، لكن الضجة موجودة. قال لى مصدر استخباراتى سابق إن «الاستخبارات أمر حساس. تخيلوا البريطانيين والأميركيين والألمان عندما يعلمون بطرح موضوعات أمنية حساسة على المجلس الوزارى المصغر الذى يضم أشخاصاً مثل بن غفير وسموتريتش. هل هذا يشجعهم على التعاون؟»

مصدر إسرائيلى مطّلع قال لـ«معاريف»: « إن ما يجرى يجبرنا على الاهتمام بسلوان، بدلاً من الاهتمام بطهران. لقد أصبحت طهران قريبة من الوصول إلى القدرة على تخصيب يورانيوم عسكري، ويمكن أن يدخلها الروس إلى منطقة الحصانة قريباً، ونحن فى المقابل نخسر أميركا. أقل ما يقال عن ذلك أنه جنون.»

وكما هو معروف، جرى توجيه تحذيرات حادة إلى بن غفير وسموتريتش من جانب مسؤولين أمنيين بشأن سلوكهما، وأنهما يعرّضان الحلف الاستراتيجى مع الولايات المتحدة للخطر، ويتسببون بأذية مصالح أمنية عليا، ويسخنون الأوضاع فى المناطق عشية شهر رمضان. فهل استوعبا ذلك؟ وهل سيتغير شيء فى وقت قريب؟ لا يمكن معرفة ذلك. فى هذه الأثناء، الكل ينتظر خطة الرئيس.

تحليل عسكرى : استمرار دائرة الدم فى الأراضى الفلسطينية يهدد المستقبل

نشرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية فى عددها الصادر 8 مارس 2023 تحليلا حول استمرار دائرة الدم فى الأراضى الفلسطينية كتبه المحلل العسكرى عاموس هرئيل

ذكر التقرير أن دائرة الدم فى نابلس وجنين مستمرة، فى وقت تتوطد العلاقات ما بين النشطاء الفلسطينيين المسلحين فى البلدتين شمالى الضفة. وذكر أن قوة تابعة للجيش وجهاز الأمن العام «الشاباك» و«اليمام» مخيم جنين، للوصول إلى قاتل الأخوة الاثنين من مستوطنة «هار براخا»، هيلل ويغيل يانيف. اعتقدوا فى «الشاباك» أن «المخرب» الذى أطلق النار من مسافة قصيرة فى قرية حوارة قبل 10 أيام، هرب إلى المخيم ووجد ملجأ لدى النشطاء المحليين. وخلال الاقتحام قتل ستة فلسطينيين وأصيب ثلاثة جنود من «اليمام»، أحدهم بجروح متوسطة واثنان جروحهما طفيفة.

كذلك وقعت حادثة أخرى فى حوارة، حين اعتدى المستوطنون على الفلسطينيين، وأصابوا بعضهم، وألحقوا أضراراً بالمركبات. وفى الوقت نفسه، أعلن مستوطنون أن مركباتهم رُشقت بالحجارة. وهذه هى الحادثة الثانية بعد «البوغروم» الذى نفّذه المستوطنون فى القرية بعد عملية الأخوة ينيف. بعد المواجهات السابقة، وعد الجيش بأنه سيحقق فى الحادثة، ويستخلص العبر. لكن كما يبدو اليوم أيضاً، الجنود لم يزعجوا المستوطنين. وأكثر من ذلك، تم نشر فيديو يظهر فيه الجنود وهم يرقصون مع المستوطنين فى القرية - فى وقت الهجوم - بمناسبة عيد المساخر.

ورأى التحليل أن استمرار مسلسل الدم فى الأراضى الفلسطينية لن يؤدى إلى أى استقرار.

الجنرال ميلى التقى وزير الدفاع الإسرائيلى يوآف غالانت ورئيس الأركان اللواء هرتسى هليفي، وبحسب مصادر مطلعة على مضمون المحادثات، ما جرى هو تكتيك غير مسبوق فى العلاقات الإسرائيلية - الأميركية يتطابق مع البيان الأميركى الحاد والمهين، الذى صدر ضد وزير المال بتسلئيل سموتريتش بعد كلامه عن موضوع قرية حوارة.
كما هو معروف، جرى توجيه تحذيرات حادة إلى بن غفير وسموتريتش من جانب مسؤولين أمنيين بشأن سلوكهما، وأنهما يعرّضان الحلف الاستراتيجى مع الولايات المتحدة للخطر، ويتسببون بأذية مصالح أمنية عليا

منير الرجبى

تحرر بعد عشرين عاما من الأسر فتم إبعاده من حيفا إلى الخليل

عشرون عاما فى الأسر، يحصى النهارات والليالى ترقبا للعودة إلى بيته وناسه فى مدينة حيفا، حيث عاش. أدرك مُنير الرجبى مع اقتراب موعد الإفراج عنه أن شيئا ما يُدبر، فرغم غيابه عن أسرته وأحباءه طوال فترة الأسر، إلا أن القوانين الجائرة التى استنتها إسرائيل لا تكتفى بذلك، وإنما تعمد إلا نزع الهوية من أبطال فلسطين.

يبلغ منير الرجبى خمسين عاما، قضى ما يقارب نصفها داخل السجون بتهمة مقاومة احتلال غاشم، وتعرض مثل كثيرين لانتهاكات عديدة لحقوقه الأساسية، غير أن هذا الانتهاك الجديد يمثل عدوانا على هويته المقدسية، إذ فوجئ فور الإفراج عنه بقرار من سلطات الاحتلال بإبعاده إلى مدينة الخليل.

ولاشك أن القرار يُنذر بدرجة عالية من المخاطر المتصاعدة على مصير المئات من الأسرى المقدسيين، والأسرى الفلسطينيين من داخل أراضى 1948، خاصة فى ظل القوانين العنصرية التى تقرها حكومة الاحتلال الراهنة الأكثر تطرفا على الإطلاق، حيث بدأت بتحويل كل الجرائم والانتهاكات المنهجة التى تنفذها بالأصل إلى مشاريع قوانين، وقوانين، ومنها قانون (سحب الإقامة والجنسية) من الأسرى والمحررين.

لقد اعتقلت قوات الاحتلال منير الرجبى فى سنة 2003، وحصل على هوية مقدسية بموجب لم الشمل مع أسرته، لكن السلطات الإسرائيلية أصدرت قرارا بسحب هويته المقدسية عام 2019. وتحدث الأسير المحرر مؤخرا إلى وكالة الأنباء الفلسطينية « وفا» مؤكدا ضرورة «إنقاذ الأسرى الفلسطينيين

من قوانين حكومة الاحتلال ومن المتطرف إيتمار بن غفير، والتى تسعى لتهجير الفلسطينيين من أراضى الـ48، وطرد المقدسيين من أرضهم، ومنعهم من الحركة، كما تسعى إلى سن قانون يقضى بإعدام الأسرى.

وصادقت الهيئة العامة «للكنيست» الإسرائيلية، نهائيا، فى 15 شباط الماضي، بالقراءتين الثانية والثالثة، على مشروع قانون لسحب المواطنة أو الإقامة، وإبعاد كل أسير فلسطينى يحصل على مساعدات مالية من السلطة الوطنية الفلسطينية، وذلك بتأييد 95 عضوا من أعضاء الكنيست ومعارضة 9 أعضاء.

ويسمح القانون الجديد «لوزير الداخلية» فى حكومة الاحتلال بسحب المواطنة أو الإقامة من شخص «أدين بجريمة إرهابية» على حد وصفهم، وحصل على مخصصات مالية من السلطة الوطنية، وترحيله إلى الضفة الغربية أو إلى قطاع غزة.

وقال الرجبى إن هناك مخاوف كبيرة لدى الأسرى فى معتقلات الاحتلال، فى ظل حكومة بن غفير وسياستها القمعية التى تصاعدت بشكل ملحوظ ضدهم، والتى كان آخرها قانون سحب الجنسية من الأسرى الفلسطينيين الذين يحملون الجنسية أو الإقامة الإسرائيلية، وكذلك المخاوف من تشريعات جديدة، منها قانون إعدام الأسرى الذى سيعرض قريبا على الكنيست الإسرائيلية للمصادقة عليه بالقراءة الثانية.

وأشار إلى أن هذا القانون إذا تم تطبيقه سيصبح وضع الأسرى كارثيا، لافتا إلى أن الاحتلال يرتكب مجازر بحق الإنسانية، وبحق الأسرى وحياتهم وكرامتهم.

وقال رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين قدرى أبو بكر، إن القوانين غير الأخلاقية التى تمت المصادقة عليها فى ظل حكومة الاحتلال، تعكس مدى الإجرام والتطرف، مشيرا إلى أن هذه القوانين تأتى فى سياق الإجراءات العقابية التى تتخذها هذه الحكومة بزعامة المتطرف بن غفير الذى يتولى مسؤولية الأمن القومى وشرطة الاحتلال. وأوضح أن قرار سحب الجنسية من الأسرى، ومشروع قرار إعدام الأسرى، يؤكد تخبط هذه الحكومة على المستويين السياسى والأمني، ويهدف إلى ترحيل الفلسطينيين عن أرضهم، وإبعادهم عن القدس التى تتعرض لهجمة متواصلة من قبل هذه الحكومة.

وأكد «أبو بكر» أن هناك تحركات من قبل القيادة الفلسطينية، التى تتابع مع مجلس الأمن الدولي، وهيئة الأمم المتحدة، والبرلمانات، لوقف حكومة الاحتلال عن إجراءاتها وقوانينها العنصرية التى تتعارض مع كافة الاتفاقيات الدولية، خوفا من تفاقم الأوضاع فى سجون الاحتلال، والأراضى الفلسطينية.

كما استنكر المستشار القانونى لهيئة شؤون الأسرى والمحررين جميل سعادة، تشريعات حكومة الاحتلال التى تهدف للنيل من الأسرى الفلسطينيين، مشيرا إلى المخاوف المترتبة فى حال صادقت حكومة الاحتلال على مشروع قرار إعدام أسرى، الذى يوفر الغطاء القانونى لهذه الحكومة.

وأوضح أن نص قانون سحب «الجنسية» وصياغته لا يخفى أنه كتب وأقر ضد الفلسطينيين فقط دون غيرهم من أجل انتهاك المزيد من حقوقهم الأساسية، من خلال توفير إمكانية إضافية لسحب جنسيتهم أو مواطنتهم وتهجيرهم من أرضهم ومنازلهم، بما يخالف القانون الدولى والإنساني.

وفى بيان سابق، قالت الهيئة الوطنية لدعم وإسناد الشعب الفلسطينى داخل أراضى الـ48، «إن مشروع قانون الاحتلال تجاه سحب الجنسية من مناضلى الداخل، يأتى فى سياق سلسلة من القوانين والإجراءات الإسرائيلية العنصرية تجاه جماهير شعبنا داخل أراضى الـ48».

وصادقت الهيئة العامة «للكنيست» الإسرائيلية، نهائيا، فى 15 شباط الماضي، بالقراءتين الثانية والثالثة، على مشروع قانون لسحب المواطنة أو الإقامة، وإبعاد كل أسير فلسطينى يحصل على مساعدات مالية من السلطة الوطنية الفلسطينية، وذلك بتأييد 95 عضوا من أعضاء الكنيست ومعارضة 9 أعضاء. ويسمح القانون الجديد «لوزير الداخلية» فى حكومة الاحتلال بسحب المواطنة أو الإقامة من شخص «أدين بجريمة إرهابية» على حد وصفهم، وحصل على مخصصات مالية من السلطة الوطنية، وترحيله إلى الضفة الغربية أو إلى قطاع غزة.

محمد عبيدات

حجز أموال واستيلاء على حسابات أسرى القدس ..عمل ممنهج

تواصل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، هجمتها الشرسة ضد أسرى القدس وأراضى الـ48 وعائلاتهم، تنفيذا لقرارات وزير الأمن القومى المتطرف ايتمار بن غفير، باحتجاز أموال الأسرى والاستيلاء عليها.

وأوضحت هيئة شؤون الأسرى والمحررين، أن سلطات الاحتلال تفرض غرامات مالية على الأسرى، إلى جانب الاستيلاء على كثير من محتويات منازلهم وممتلكاتهم وتخريبها خلال اقتحام جنود الاحتلال لها، والاعتداء الجسدى واللفظى على ذوى الأسرى.

وقال رئيس لجنة أهالى القدس أمجد أبو عصب، إن عمليات القرصنة والحجز على الحسابات البنكية والاستيلاء على الأموال، استهدفت حتى نهاية شهر فبراير. شباط الماضى نحو 160 مقدسيا بينهم 24 أسيرا يقبعون حاليا خلف القضبان، و55 أسيرا محررا، و81 من أفراد عائلات الأسرى.

وأفاد محامى هيئة شؤون الأسرى فادى عبيدات، بعد زيارته للأسير محمد عبيدات (23 عاما) القابع فى سجن النقب، بأنه بعد إقرار القانون الخاص بأسرى القدس وأراضى الـ48، الذين يتلقون مخصصات من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية، تم الحجز على حساباته وحسابات ذويه البنكية، وعلى الممتلكات المنقولة الخاصة بهم، وطالبت سلطات الاحتلال منه دفع مبلغ 131 ألف شيكل، كما تم الحجز على مبلغ 136 ألف شيقل من والده، واستولت على مبلغ 43 ألف شيكل.

وأوضح الأسير أنه تم سابقا رفع قضية تنفيذية بخصوص الغرامة التى فرضت عليه، وتم الحجز على الكنتين، وبالتالى لا يستطيع إدخال أى كنتين على حسابه بالوقت الراهن.

يشار إلى أن الأسير عبيدات من سكان جبل المكبر/القدس، معتقل منذ عام 2016، حيث كان يبلغ من العمر 16 عاما، ومحكوم بالسجن لمدة 18 عاما، وغرامة مالية بقيمة 194 ألف شيكل.

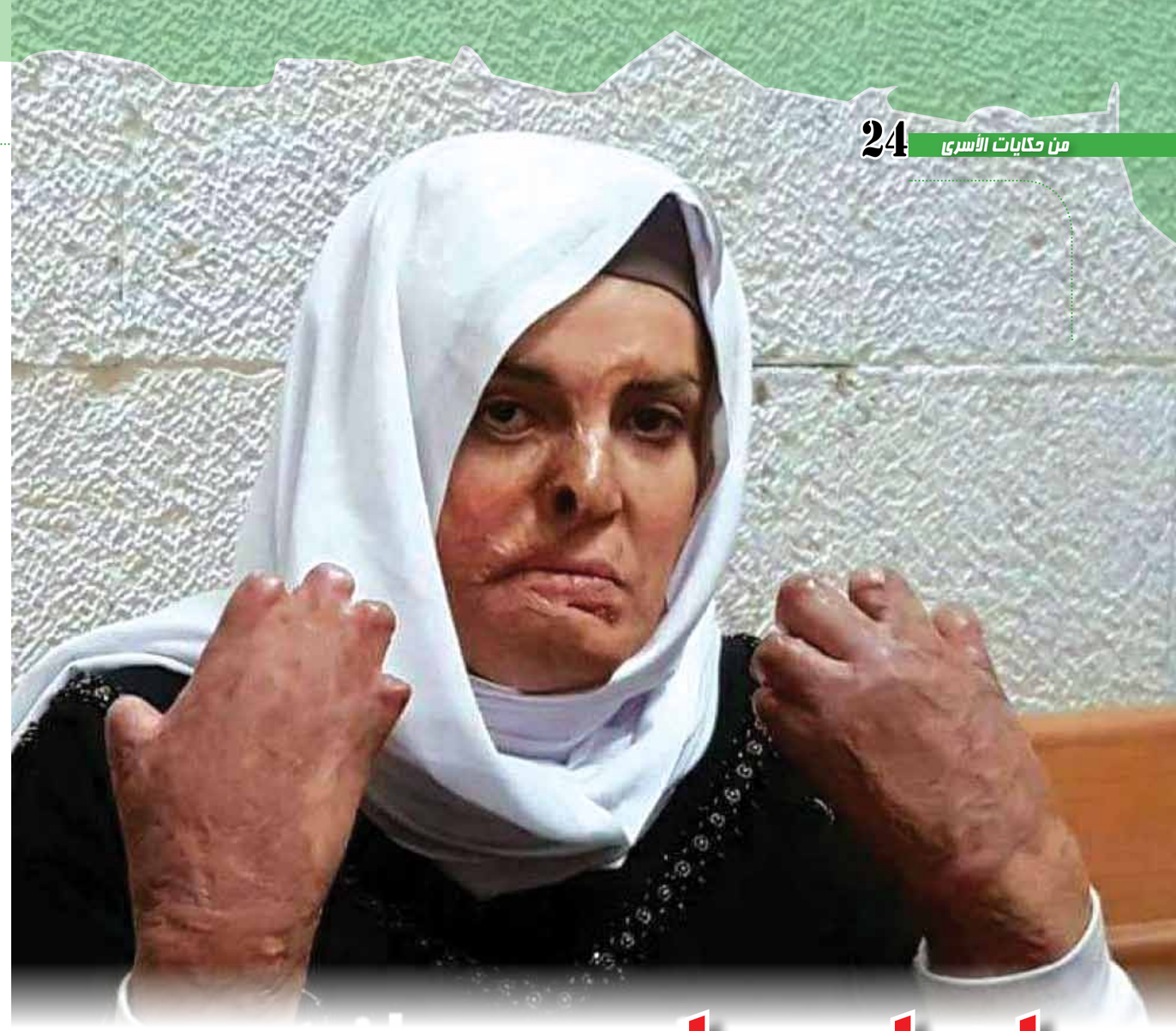

إسراء جعابيص

تعانى من حروق صعبة وتحتاج عمليات جراحية لعلاجها ولا مجيب

النساء فى الأسر يرفعن رايات التحدى والكبرياء ضد آلة القوة المتغطرسة التى لا تراعى حقوقا دولية ولا تلتزم بمعايير أخلاقية فى تعاملها مع النساء الأسيرات. وطبقا لنادى الأسير فإن هناك تسع وعشرين أسيرة فى سجن الدامون الإسرائيلي، وأن أقدمهن هى ميسون موسى من بيت لحم والتى تم اعتقالها سنة 2015. كذلك فإن قائمة الأسيرات تضم طفلتين هن نفوذ حماد من القدس وزمزم القواسمة من مدينة الخليل.

ووفقا لتقرير لنادى الأسير فإن عام 2022، شهد تصعيداً خطيراً من جانب قوات الاحتلال الإسرائيلى بحقّ

النساء الفلسطينيّات، خاصة مع تصاعد عدوانه الشامل على الشعب الفلسطيني، واتخذت جرائمه وانتهاكاته عدة مستويات بحقّهنّ؛ ولم يقتصر الأمر على سياسة الاعتقال، حيث استخدمت بشكل أساسى جريمة (العقاب الجماعيّ) بحقّ أمهات الشهداء والأسرى وزوجاتهم، وشكّل العام المنصرم، الذى اعتبر أكثر الأعوام دموية منذ سنوات، محطة قاسية، وصعبة على المرأة الفلسطينيّة.

أضاف نادى الأسير بأن قوات الاحتلال استخدم، وما يزال كافة أساليب التّنكيل والتّعذيب، بحقّ الأسيرات، والتى تشكّل جزءا من السّياسات الثّابتة، والممنهجة

التى تستخدمها بحق الأسرى عموما، وذلك بدءا من عمليات الاعتقال من المنازل، وحتى النقل إلى مراكز التّوقيف، والتّحقيق، واحتجازهن لاحقا فى السّجون بما فيها من أدوات تعذيب مستحدثة، ولم تعد تقتصر جريمة التّعذيب على فترة التّحقيق، لافتا إلى أنّه ومنذ عام 2019، استعادت سلطات الاحتلال جريمة التّعذيب بحقّ الأسيرات والمعتقلات، حيث رصدت المؤسسات الحقوقية فى حينه شهادات لأسيرات اقتربت روايتهنّ من رواية الأسيرات التى واجهنّ الاعتقال فى أواخر سنوات الستينات، وذلك من حيث مستوى أساليب التّعذيب.

وأشار نادى الأسير إلى أن الأسيرات يواجهن ظروفا حياتية صعبة فى سجن «الدامون»، منها: وجود كاميرات فى ساحة الفورة، وارتفاع نسبة الرطوبة فى الغرف خلال فترة الشتاء، كما وتضطر الأسيرات استخدام الأغطية لإغلاق الحمامات، وتتعمد إدارة السّجن قطع التيار الكهربائى المتكرر عليهنّ، عدا عن «البوسطة» التى تُشكّل رحلة عذاب إضافية، خاصة للواتى يُعانين من أمراض، والأهم سياسة المماطلة فى تقديم العلاج اللازم لهن، وتحديدا المُصابات، وأصعبهنّ، حالة الأسيرة إسراء جعابيص، التى تعانى من تشوهات حادة فى جسدها، جرّاء تعرضها لحروق خطيرة أصابت 60٪ من جسدها، وذلك جرّاء إطلاق جنود الاحتلال النار على مركبتها عام 2015، والذى تسبب بانفجار اسطوانة غاز فى مركبتها، وقد أصدر الاحتلال بحقّها حُكمًا بالسّجن لمدة 11 عاما، وتحتاج الأسيرة جعابيص إلى سلسلة من العمليات الجراحية فى اليدين والأذنين والوجه، حيث تُعانى على مدار الوقت من آلام، وسخونة دائمة فى جلدها، ما يجعلها غير قادرة على ارتداء الأقمشة والأغطية، وهى بحاجة ماسة لبدلة خاصة بعلاج الحروق، حيث ترفض إدارة السجون توفيرها، بل ولا تكترث لتوفير أدنى الشروط الصحية اللازمة لها، علمًا أنها فقدت (8) أصابع من يديها.

واستعرض نادى الأسير أبرز البيانات المتاحة عن الأسيرات فى سجن الدامون والتى تضمنت وجود تسع وعشرين أسيرة، حكم على 15 منهن، وتعانى خمسة عشر واحدة منهن من مشكلات صحية. وذكر أن أقدم الأسيرات فى سجون الاحتلال هى الأسيرة ميسون موسى من بيت لحم ومعتقلة منذ 2015، ومحكومة بالسّجن لمدة 15 عاما.

كما ذكر أن أعلى الأحكام صدرت بحقّ الأسيرات: شروق دويات، وشاتيلا ابو عيادة المحكومتان بالسّجن لـ(16 عاما)، وميسون موسى لمدة (15 عاما)، وعائشة الأفغانى لمدة لـ(13 عاما) وهناك أسيرة واحدة معتقلة إداريا وهى رغد الفنى من طولكرم.

أضاف أن من بين الأسيرات هناك سبع جريحات، وهناك ستة أمهات هُن إسراء جعابيص، فدوى حمادة، أمانى الحشيم، يسامين شعبان، هطاف جرادات، ولينا أبو غلمي. ومن المعلومات الهامة أيضا أن غالبية الأسيرات المحكومات أحكاما عالية من القدس، وأن هناك 193 حالة اعتقال لنساء وفتيات منذ عام 2022، ومع بداية العام الجاري، وهناك 1300 حالة اعتقال للنساء والفتيات منذ عام 2015

واعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلى أكثر من (17) ألف امرأة فلسطينيّة منذ عام 1967، وتعد أول أسيرة فى تاريخ الثّورة الفلسطينيّة المعاصرة هى الأسيرة فاطمة برناوى من القدس.

حالة الأسيرة إسراء جعابيص، التى تعانى من تشوهات حادة فى جسدها، جرّاء تعرضها لحروق خطيرة أصابت 60٪ من جسدها، وذلك جرّاء إطلاق جنود الاحتلال النار على مركبتها عام 2015، والذى تسبب بانفجار اسطوانة غاز فى مركبتها، وقد أصدر الاحتلال بحقّها حُكمًا بالسّجن لمدة 11 عاما، وتحتاج الأسيرة جعابيص إلى سلسلة من العمليات الجراحية فى اليدين والأذنين والوجه، حيث تُعانى على مدار الوقت من آلام، وسخونة دائمة فى جلدها، ما يجعلها غير قادرة على ارتداء الأقمشة والأغطية، وهى بحاجة ماسة لبدلة خاصة بعلاج الحروق، حيث ترفض إدارة السجون توفيرها، بل ولا تكترث لتوفير أدنى الشروط الصحية اللازمة لها، علمًا أنها فقدت (8) أصابع من يديها

ناصر أبو سرور

روايتان كتبهما أسيران تحكيان جانبا من الإنتهاكات الصهيونية للسجناء

تتوالى الإبداعات الفلسطينية التى يخطها الأسرى، وقبل أسابيع صدرت فى بيروت عن دار الآداب للنشر رواية «حكاية جدار» التى كتبها الأسير الفلسطينى ناصر أبو سرور، والتى تقع فى 343 صفحة من القطع المتوسط.

لقد حظيت هذه الرواية باهتمام كبير على المستوى الثقافى ليس لأن كاتبها من القيادات الأسيرة منذ سنة 1993، فقط وإنما لأنها تمثل كتابة أدبية رائقة وشفافة ومعبرة عن واقع عظيم يعيشه المأسورون الفلسطينيون.

هى واحدة من صنوف أدب البوح الذى يقدم فيه الكاتب زفراته ولواعجه وما يختلج نفسه من مشاعر إنسانية شتى يرفض فيها ما يكابده من ظلم. ويقدم الكاتب نصا يتجاوز فكرة التسجيل إلى التأمل ليظهر أمامنا البطل الأسير دون أقنعة معبرا عن ثوريته وجراته وعزيمته التى لا تلين فى مواجهة آلة الظلم. وكما يقول نقاد العمل فإن ناصر أبو سرور لا يثرثر فى نصه، وهو منضبط وموزون هائل الكثافة. إنه يقول عن جداره بأنه لن يسقط أبدا .

كذلك فقد صدرت فى جنين نهاية فبراير الماضى رواية «الأسير 1578» والتى كتبها المعتقل هيثم جابر من قرية حارس محافظة سلفيت، والتى اعتبرها النقاد بمثابة إضاءة جديدة على معاناة الأسرى وتحمل ملحمة إنسانية تنقل الأدب والفلسفة والنضال والإنسانية، وتعبر عن الأسرى فى سجون الاحتلال ومعاناتهم فى كافة الجوانب، منذ لحظة اعتقالهم. وتتطرق الرواية بوضوح إلى قضية الإهمال الطبى المتعمد الذى يتعرض له الأسرى. ومؤلف الرواية هو الأسير هيثم جابر، معتقل منذ عام 2002، وحكم عليه بالسجن لمدة 28 عاما، وكان طالبا فى جامعة النجاح الوطنية قسم الصحافة والإعلام، وحصل على شهادة جامعية تخصص تاريخ داخل سجون الاحتلال.

وأصدر جابر ثلاثة مؤلفات داخل الأسر هي: ديوان شعر (زفرات فى الحب والحرب) جزئين، مجموعة قصصية بعنوان «العرس الأبيض»، رواية «الشهيدة».

أثر من فلسطين

جمال الفسيسفاء يُبهر زوار قصر هشام بأريحا

تحكى الحجارة تواريخ مضت، أزمنة مر بها آخرون، عاشوا وسادوا وتفاعلوا مع الحياة ليتركوا لنا آثارهم مُبهرة ومُعلمة ومثيرة للاستحسان.
من الآثار الجميلة فى مدينة أريحا قصر هشام، الذى يقع فى خربة المفجر، يبعد خمسة كيلومترات فقط من المدينة فى الجهة الشمالية، وقد أنشأه الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك والذى حكم الدولة الأموية خلال الفترة من 724 إلى 743 م.

أنشأه الخليفة الأموي، وهجره العباسيون واستقر به جنود صلاح الدين الآيوبى

يتكون القصر من مجموعة من البنايات والحمامات والجوامع وقاعات مليئة بالأعمدة الأثرية. وتعتبر الفسيفساء والزخارف والحلى فيه من أفضل أمثلة الفن الإسلامى .

ويفترض بعض العلماء أن زلزالا عنيفًا كان قد ضرب المنطقة ودمر الأبنية فى قصر هشام قبل أن تكتمل. وبفعل الأتربة والأنقاض المتراكمة حفظت الفسيفساء والرسومات الرائعة الموجودة فى القصر.

وتمتد الفسيفساء بمساحة 827 متراً مربعًا، وتقع فى الحمام الكبير؛ وتتكون من 38 سجادة ملونة ومتنوعة الشكل واللون بأشكال هندسية ونباتية فى إبداع فنى قل نظيره. وقد تم اكتشاف الفسيفساء مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، وطوال السنوات الماضية احتفظ باللوحة تحت الرمال خشية عليها من عوامل الطقس، وكشف عنها لبعض الوقت عام 2010 ثم أعيد طمرها ثانية. وفى عام 2016 أزاحت وزارة السياحة والآثار الستار عنها وعهد إلى الوكالة اليابانية للتنمية الدولية «جايكا» بأعمال ترميم وبناء سقف خاص للوحة الفسيفساء لحمايتها من العوامل البشرية والطبيعية. ويشار إلى أن العديد من الزخارف المنقوشة من الموجودات فى القصر توجد فى متحف روكفلر فى القدس.

وتاريخيا، فإن هناك إشارات تؤكد أن القائد الكبير صلاح الدين الأيوبى بذل محاولات خلال حروبه مع الصليبيين لإعادة السيطرة على القصر فى القرن الثانى عشر الميلادي. ولكن بعد ذلك وحتى سنة 1940 من هذا القرن، صار القصر بمثابة مقلاع للحجارة لأهالى أريحا.

ويوجد إلى يمين المدخل متحف صغير يضم مجموعة من الأوانى الخزفية التى اكتشفت فى الموقع.

ومن المحتمل أن يكون القصر قد شغل مساحة واسعة؛ وذلك لكى يتمكن الخليفة من ممارسة هواية الصيد، لذا فقد امتدت حدود القصر لتصل لمسافة كيلومترين باتجاه نهر الأردن؛ ولكن الحدود الشمالية والجنوبية يصعب تحديدها بدقة.

ومن بين افتراضات العلماء أنه لم يكن هنالك ينابيع بجانب القصر، وكان يتم جلب المياه من نبع النويعمة التى تقع لمسافة ثلاثة كيلومترات باتجاه الشمال الغربي. ولقد تطلب هذا إنشاء عدد من الجسور فى الوديين.

التجول داخل القصر

يدخل الزائر للقصر من ساحة البلاط الأمامية الممتدة بطول 300 مترا وبعرض 40 مترا، وهى محاطة برواق مزين بالأقواس من الجهات الأربع. وعند التوجه إلى الشمال نصل إلى حوض مائى مربع بعمق متر واحد، بجدران مغطاة بالرخام، وهى ملونة بالأحمر والأصفر. وكانت المياه سابقًا تتدفق من نافورة فى الوسط، وتمر عبر فتحة من الجانب الجنوبي، وقد كانت مغطاة بسقف مزين على الطريقة الفارسية.

عند الرجوع قليلًا إلى الوراء، وتغيير المسار نحو الشرق لدخول البوابة الشرقية، نلاحظ أن المدخل الرئيسى للقصر محاط ببرجين مربعين، ويوجد مقعدين حجريين على جانبى المدخل، وفى أعلى هذين المقعدين توجد منطقة ملأى بالرسومات لأزهار وأوراق شجر يعلوها ثلاث تماثيل،وهى مغطاة بأقواس نصف دائرية، كالتى وجدت فى قبة الصخرة المشرفة فى القدس.

وفوق ذلك يوجد السقف الذى يغطى المدخل، وهو مكون من عدد من الأقواس الشرقية. وقد غطى هذا المدخل بالقطع القرميدية التى تشير إلى أنه بنى على أيدى عمال من العراق. ويتكون السقف من أحجار موجودة فى سوريا.

وهذا المدخل يؤدى إلى قاعة بطول 12 مترًا يوجد على جانبيها تسعة أعمدة مغطاة مع الجدران بالجص المزين بالأشكال الهندسية المنقوشة. وهذه الأعمدة مرصعة بأشكال رؤوس رجال مغطاة بالعمامات، ونساء مغطاة بالخمار، والتى لا تترك مجالا للشك عن الطابع العربى للمكان. توجد أيضًا رؤوس لطيور برية ومدجنة بعضها وهو يقضم بضع أغصان من العنب والفاكهة الأخرى.

وعند الخروج من القاعة والتوجه إلى ساحة القصر، يصادفنا خندق مائى يتبع للمبنى الشرقي، يتكون من ثمانى غرف على اليمين، يقابلها نفس العدد فى الجهة الأخرى. فى الجانب الغربى المطل على الساحة توجد لوحة ملونة لأزهار وحيوانات؛ بالإضافة لعدد من الألواح الزجاجية المخزنة فى الزاوية.

وعند التقدم إلى الأمام، نعبر إلى الساحة الداخلية الرئيسية، التى يرتفع حولها عدد من الأبنية. ومساحة هذه الساحة هى حوالى 29 ضربًا (28 مترًا) محاطة بأعمدة تعلوها أقواس من الرخام تدعم سقفًا، ويشكلان معا «رواقًا» أمام الغرف فى الخلف. ونجد أن أرضية الساحة والرواق مرصوفة بقطع من البلاط الأسود، وفى هذه القطع توجد فتحات خاصة لخروج المياه من القصر. أما المبنى الشرقى مكون من أربع غرف مستطيلة الشكل يتوسطها الجامع الخاص بالخليفة. وقد رصفت أرضيتها بالرخام الأبيض؛ إلا أن المحراب فى هذا الجامع قد خلى من أية زينة أو زخارف.وهذه الغرف لم تكن مغطاة بالقرميد؛ إلا أنه وجدت أكوام من قطع القرميد جاهزة للاستخدام. وكانت الغرف والمصلى مغطاة بقطع من القرميد والحجارة، التى كانت تمنع تسرب المياه إلى الداخل.

مقر الخليفة

لقد كان مقر الخليفة فى المبنى الغربي. وهو مكون من صفين من الغرف؛ كل صف يحتوى على ست غرف بمساحات مختلفة. وقد احتوت هذه الغرف على أبواب داخلية تصلها مع بعضها البعض؛ بحيث لا يتوجب على المقيمين بها مغادرتها والخروج إلى الرواق والفناء. وفى الوسط يقع الحمام الخاص بالخليفة؛ وهو ينخفض بمقدار 5 أمتار. أما فى داخل الحمام كانت هناك مدفأة، وحوض ساخن للاستحمام، ومكان للاستراحة. وكانت المقاعد الموجودة على الجانبين مرصوفة بقطع ملونة

صغيرة من الموزاييك. وكانت المياه تتدفق إلى الحمام من حوض يمتلئ بالماء من القناة الرئيسية وعلى السطح كانت توجد غرفة مخصصة لأعمال الخليفة.

وبالنسبة للمبنى الشمالى يضم قاعة استقبال كبيرة بطول 29 مترًا وعرض 11 مترًا؛ ولم تكن هناك أية قواطع تجزئها لغرف منفصلة؛ وكانت هناك بعض الجسور بها، واحتوى سطحها على سبع قباب صغيرة.

مشاهد فنية مبهرة

وبين قاعة الاستقبال الشمالية والمبنى الشرقى يوجد سلم يؤدى للأرضية العلوية المطلة على ساحة القصر. ويقف سقف الرواق الداخلى على أعمدة من الرخام الأبيض؛ وهى أصغر من الأعمدة الموجودة فى الأرضية السفلية. وبعض هذه الأعمدة نقش عليها صلبان تدل على أنها أخذت من بقايا الكنائس المحلية. وبين هذه الأعمدة الرخامية يوجد شكل مرسوم بالجص بعدة أشكال ورسومات هندسية. وقد وجدت مرمية على الأرضية إلى جانب رسومات من الجص للتزيين. وجمعت جميعها فى غرفة خاصة فى متحف الآثار فى القدس.

وبمجرد النظر على هذه الأشكال الجصية تجد أنها تنافس أحدث ما توصل إليه هذا الفن لدى الفارسيين.

إن أجمل الأروقة التى وجدت فى القصر كانت تلك المعروفة بـ«الشرقية» والمطلة على الحديقة الصغيرة أمام القصر. وعلى الحقل الرائع المحيط بالقصر، الذى كان بمثابة متنزه رائع وخلاب بأشجاره وأزهاره.

بنزول السلالم التى تسلقناها سابقًا نعود إلى الرواق الذى يقع أمام قاعة الاستقبال الشمالية؛ وبالمضى نحو الغرب، وتغيير الوجهة نحو الجنوب، نجد أنفسنا بطريق على يمين حديقة مفتوحة تابعة للمصلى، وهو المصلى المخصص للمقيمين فى القصر. ونستطيع رؤية المحراب بوضوح إلى الجنوب، وكذلك نرى خلفها بقايا المنارة التى تؤدى إلى قاعة الاستقبال الغربية.

ونصل إلى الممر الغربى الذى يصل إلى القاعة الرئيسية ومكان الاستقبال الذى يصل إلى منطقة الحمامات، وهى قاعة مربعة الشكل؛ يحتوى كل حائط لهذه الغرفة على انحناءات وفى كل انحناء يقف تمثال لامرأة عارية الصدر تضع الحلى أو تمثال لرجل بلباس الأسود. ويميز هذه الغرفة وجود قطع الفسيفساء الملونة؛ ما يجعلها تحفة فنية رائعة. ومن الأشياء الغاية فى الأهمية ما وجد فى الجزء الأوسط من الحائط الغربي؛ حيث كان يجلس الخليفة لمشاهدة الفتيات يرقصن أمامه فى هذه الغرفة المميزة. وكانت هذه القاعة مسقوفة بشكل قبة كبيرة فى الوسط، محاطة بأربع قباب منخفضة.

عندما كان الخليفة ينتهى من الاستحمام، كان يدخل إلى غرفة تقع إلى الشمال الغربى من قاعة الاستقبال. ويحتوى القسم الداخلى لهذه الغرفة على غرفة نصف دائرية مرصوفة بأفضل أنواع الموزاييك فى العالم. وتظهر شجرة البرتقال فيها، وتحتها وعلى جانبيها تظهر ملامح لحيوان منتصر وغزال منهزم، وحول هذا الشكل يوجد رسم لسجادة فارسية،وقد رصعت بـ16 نوعًا من الحجارة.

قسم الاستحمام

وبالنسبة للأقسام الخاصة بالحمام وجدت خلف القاعة من جهة الشمال. ويتم توزيع المياه الساخنة المتدفقة منه عبر أنابيب من الصلصال. فى بعض هذه الأقسام كان المستحم يستمتع بحمام من البخار مشابه للحياة المترفة فى أيامنا هذه. وعندما كان الجص يقشر كان القرميد الأحمر يظهر؛ والذى وضع للحفاظ على الحرارة. ومعظم الحمامات كانت تحتوى على مقاعد جانبية؛ وضعت لكى تسمح للمستحم بالراحة بعد أن تأخذ عضلاته بالاسترخاء. وفى السقف كانت هنالك بعض النوافذ التى تسمح لضوء خفيف بالنفاذ؛ لراحة الأعصاب. وفى خارج القصر كانت هنالك حديقة كبيرة ملأى بالأشجار والزهور. وبالنسبة لبقايا الجامع والمحراب فيمكن رؤيتها بوضوح؛ وهو يقع بين القصر والحمامات.

وكان من الواضح أنه قد تم استجلاب فنانين بيزنطيين للعمل على هذه اللوحات والفسيفساء؛ والتى تعتبر من أجمل اللوحات الفنية التى تم العثور عليها.

زلزال مدمر

ويعتقد علماء الآثار الذين نفذوا الحفريات الأثرية فى القصر بأن الزلزال الذى ضرب المنطقة فى سنة 746 ميلادية قد دمر معظم الأبنية فى القصر قبل أن يجهز الطابق العلوي. لقد دمر القصر فى الوقت ذاته حين دمرت كنيسة القيامة فى القدس بعض الكنائس فى جرش والبعض الآخر فى أنحاء متفرقة من المنطقة. وظل موقع القصر مهجورًا حتى بدأ الناس بتشييد البيوت فى مدينة أريحا؛ حيث بدأ السكان المحليين بأخذ بعضا من حجارته المنحوتة لبناء بيوتهم. العمل على بناء القصر وتجهيزه استمر حتى وفاة الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك عام 125 بعد الهجرة سنة 743م. ولا يوجد دليل واحد حول احتمال قضائه شتاء واحدا فيه.

بعد ثلاث سنوات من هذا الوقت انهارت الدولة الأموية. ولم يظهر العباسيون أى اهتمام بالبناء،لذلك قاموا بنقل مقر الخليفة إلى العراق. ومن غير المستبعد أن تكون النقود القديمة والفخاريات التى وجدت من هذا العصر تخص العمال الذين عملوا فى القصر فى ذلك الوقت.

من الملاحظ أيضا أن مجموعة من جيش صلاح الدين الأيوبى قد قامت بترميم بعض الغرف فى القصر وسكنتها فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد. وقد وجدت بعض المخلفات التى تعود لهم، مثل: العملات المعدنية القديمة، والمصنوعات الفخارية. وبقى القصر على هذا الوضع؛ أى بمثابة أنقاض، حتى عام 1933، حين بدات الحفريات الأثرية ثم قامت وزارة الآثار الأردنية وعلى مدى خمسة أعوام من 1957-1961 بالكشف عن البقايا لهذا القصر. وقد تمخضت الحفريات التى جرت ما بين 1957 –1958 عن اكتشاف بيوت العمال الذين قاموا ببناء القصر. وهذه الاكتشافات تعود إلى الفترة بين القرن الثامن والثانى عشر الميلاديين.

دلالة لافتة

يبين لنا القصر مدى التقدم فى الحياة الاجتماعية لدى المسلمين؛ فهى مزودة بشبكة من القنوات موصولة بأماكن للاستحمام. وقد نقل الجص المنحوت الذى وجد فى هذه الأبنية للمتحف الفلسطينى للآثار فى القدس؛ حيث يتم عرضها الآن؛ لأن الجص يعدّ من المواد الهشة، ولا يمكن تركه عرضة لتغيرات فى الطقس.

وقد قامت دائرة الآثار الفلسطينية بأعمال ترميم وتأهيل واسعة فى هذا الموقع منذ عام 1995 شملت الأرضيات والجدران والطريق المؤدية إلى القصر؛ وكان آخرها إزاحة الستار عن اللوحة الفسيفسائية نهاية عام 2016م. ويعدّ قصر هشام من أعظم الأماكن السياحية من العصر الأموى الموجودة فى الضفة الغربية؛ فقد زاره فى عام 2016 قرابة مئتى ألف زائر.

المصدر:
موقع بلدية أريحا،
موقع وزارة السياحة والآثار الفلسطينية.

القدس بالقلم الرصاص.

الفنان المقدسي شهاب القواسمي يوثق برسوماته تاريخ القدس الشرقية

رسم الماضي لقراءة المستقبل بمشاعر تتجنب الخيال وتلامس الواقعية

الريشة سلاح مقاومة شرس، واصل، متجاوز للحدود واللغات. برسمة ينطرح رأي، وبرسمة يتجدد اعتراض، وبرسمة تُمحى أكاذيب وتُثبت حقائق.

يؤمن الفنان التشكيلى المقدسى شهاب القواسمى بأن ريشته، هى بندقيته الفعالة الموجعة ضد العدو المغتصب.تحكى رسوماته المبهرة فى خطوط بسيطة، لكنها مؤثرة وعميقة كيف تبدلت ظلال الصورة لتطمس حياة كانت قبل عقود صاخبة، ومتجددة، ومفعمة بالأحداث. يبدو صاحب الريشة مؤمنا بقضيته فى مقاومة تزوير المعالم وطمس الهوية، وهو يعيد توثيق التراث الخاص بمدينة القدس، عمائرا وأبنية ومشاهدا جميلة برسوماته بالقلم الرصاص، وبالإكليريك على القماش.

يمثل الفنان شهاب القواسمى نموذجا متميزا لفنان قادر على التعبير عن ذاته بأسلوب خاص يتسم بالتماهى مع الطبيعة والتحرر الفنى التام، معتمدا على الضوء وظلاله للتوافق مع الواقعية، ومُعبرا بعمق وقوة عن مشاهد مختلفة من الحياة اليومية للبشر والعمائر فى مدينة القدس دون تهويل أو تهوين.

وفى تصور بعض نقاد الفن التشكيلى المتابعين لإبداعات الفنان الفلسطيني، فإنهم يرون أنه قادر بشكل استثنائى على التجرد من الأفكار الخيالية بما يؤهله لنقل فكرته كما هى لتحرض العقول على التفكير والبحث والسعى للوصول إلى إجابات لتساؤلات تفرضها الرسمة. ويبدو أنه اختار هذه المدرسة لإتصافها بالبعد عن الخيال، من أجل إرضاء الحاجات الفكرية عنده وعدم التركيز على المثيرات الحسية. إن لوحاته النابضة بالحياة، تنقلك إلى التفاصيل الدقيقة للبلدة القديمة فى القدس، فالمشربيات (الشرفات الخشبية) على سبيل المثال، تبدو واضحة فى لوحاته، وكذلك البلاط القديم الذى كانت تُرصف به أزقّة البلدة القديمة.

ولد الفنان شهاب القواسمى فى حى السلسلة بالبلدة القديمة بالقدس سنة 1959، ونشأ فى القدس، ودرس فى معهد بيت الفنانين، ثم سافر سنة 1977 إلى فرنسا والنمسا لاستكمال دراسته وعندما عاد ولاحظ تغيرات معمارية عديدة فى المدينة المقدسة، وآثار لمحاولات طمس الهوية العربية للمدينة، قرر تبنى مشروعا إبداعيا جديدا لتجسيد وتوثيق القدس من خلال لوحاته المبهرة، والتى عرضت فى عشرات المعارض الفنية الفردية والجماعية، سواء فى القدس أو فى العديد من عواصم العالم.

وفى سنة 1996 منحه ملتقى المثقفين المقدسى جائزة أفضل فنان تشكيل فلسطيني.وفى سنة 2016 أصدر شهاب القواسمى كتاب «كان ياما كان.. قبل مئة عام» الذى والذى تضمن سبعين رسمة توثيقية للقدس، كما أصدر فى العام الماضى كتاب «قناديل الأقصى» الذى يضم أكثر من 120 رسمة للمسجد الأقصى المبارك، مرسومة جميعا بالألوان الطبيعية مع شرح لكل صورة بأربعة لغات هى العربية، الإنجليزية، الفرنسية، والتركية.

وفى الكتابين لم يتوقف الفنان على إتقان الرسم، وخلط الألوان فقط، وإنما امتد دوره للبحث والتأريخ من خلال الاستعانة بوثائق وصور قديمة للمدينة لدحض أى تصور زائف يساهم فى مشروع التهويد المروج له من الدولة الصهيونية.

يقول الفنان «أرسم الماضى لأقرأ المستقبل»، فمعظم المشاهد المرسومة شهدها وعايشها وهو طفل صغير يلعب فى الأزقة إلى جوار المسجد الأقصى، ثم رآها وهى تتبدل وتتغير بفعل السلطة الإسرائيلية الغاشمة. ويضيف شهاب القواسمى قائلا « إن رسالتى كفنان مقدسى هى أن أوصل المعلومات التى أعرفها عن القدس أيام الآباء والأجداد إلى أولادى وأحفادى فى المستقبل.»

ويشير إلى أن القدس مدينة عالمية ومقدسة ومحتلة، وأهلها يعانون ويتم تهجيرهم منها، وبالتالى فإن على كل منا أن يقدم كل ما يقدر عليه من أجل المدينة.

الفنان شهاب القواسمي

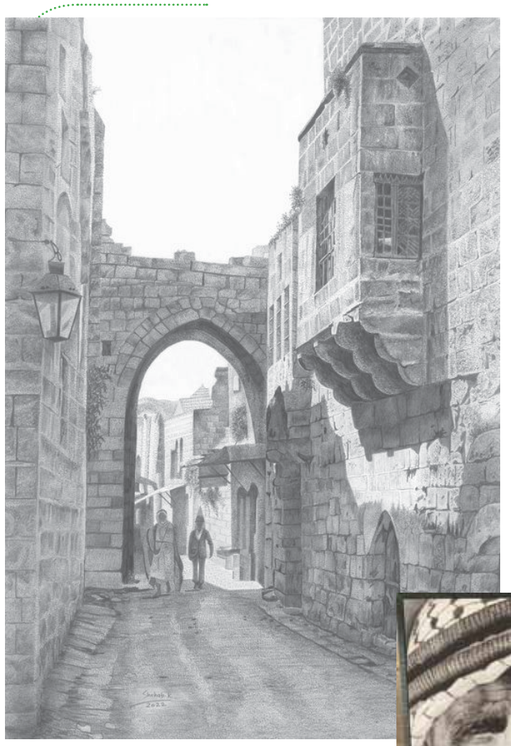

طريق الواد. البلدة القديمة.. ١٩٢٠

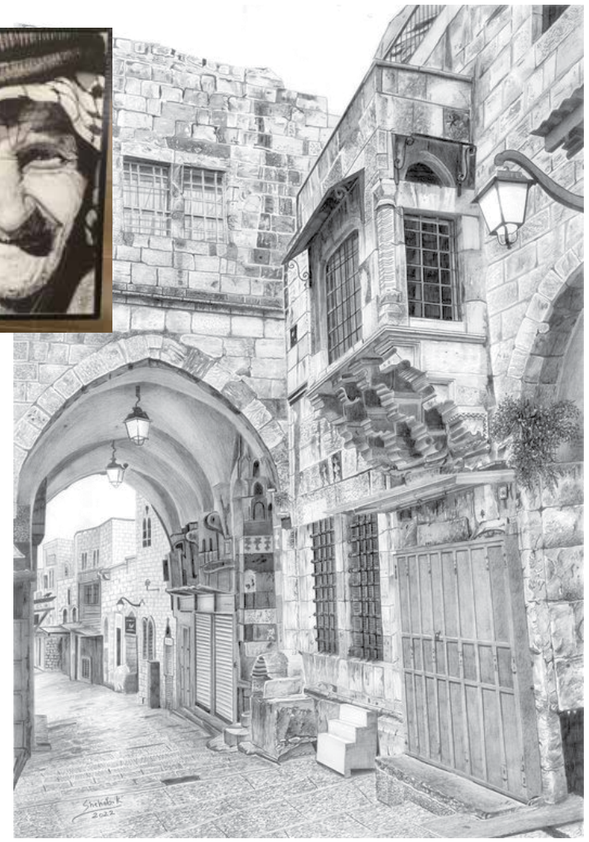

سوق باب السلسلة بالقدس

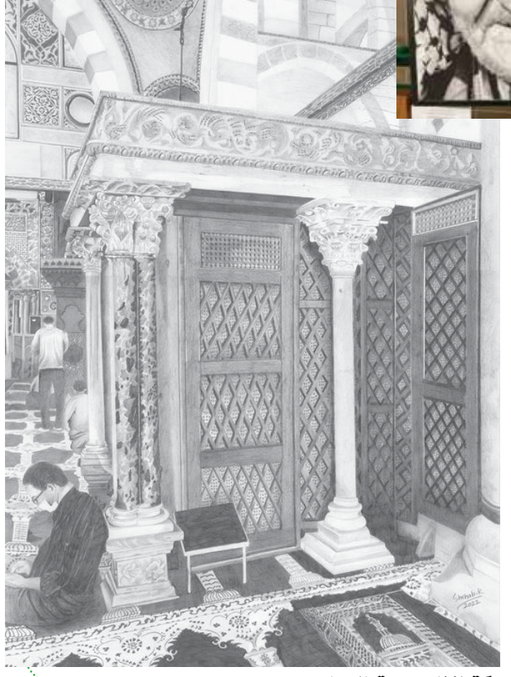

دكة المؤذنين.رسمة بالرصاص.

فيلم «فرحة»

يسرد الرواية الفلسطينية للنكبة سينمائياً

مشهد من فيلم فرحة.

عصابات القتلة يحطمون أحلام فتاة صغيرة فى التعلم والتحقق

تتحدث السينما العالمية كل يوم كما تشاء. تُبدل، وتُغير، وتُزوّر، وتفرض ما تراه، وتُمحى ما تُنكره، ويجابه صُناعها مَن يختلفون، وينتقدون، ويقاومون تحيزاتها بالفكرة الشائعة عن حرية التعبير، وحق الفن أن يقول كلمته، ويفرض رؤيته.

ورغم ذلك فإن أى صوت يُخالف القطيع ويجابه العنصرية السائدة لدى بعض الدول الكبرى، ويُقدم روايةً مُغايرة لأفكارها يتم النظر إليه بارتياب ويلقى نقدا واسعا، وهو ما حدث مؤخرا مع الفيلم الأردنى الفلسطينى «فرحة» الذى أفلت من الرواية الصهيونية للتاريخ وقدم نكبة فلسطين وفقا للحقيقة السائدة، فأثار عرضه على منصة «نيتفليكس» موجات من الغضب الإسرائيلى الذين هددوا بالمقاطعة، ووصموا العمال وصناعه بالتزوير والخداع.

يبدو الفيلم مستلهما من حكاية حقيقية لفتاة تحمل اسم فرحة عاشت زمن النكبة فى إحدى القرى الفلسطينية، وكان حلمها الأول هو التعليم ودخول المدرسة والانتقال للمدينة، كسرا للعادات الموروثة بتزويج الفتاة مبكرا. يستجيب الأب لأمانى ابنته، لكن نشوب الحرب سنة 1948، ودخول العصابات الصهيونية كثير من القرى يجعل عملية انتقالها من القرية أمرا شديد الصعوبة، فيُخفيها والدها فى إحدى الغرف لتفلت من اجتياحات العصابات الصهيونية التى تمارس التطهير العرقي، ويذهب للإلتحاق بالمقاومة. وتلتقى الفتاة الصغيرة بأسرة فلسطينية هاربة من جحيم القتل الصهيوني، لتجد فيهم أملا فى التعاون ودعما لفرصة الإفلات والهروب للحصول على التعليم، وترتبط الفتاة بالأسرة وتشهد ميلاد محمد الطفل الثالث للأسرة الهاربة، لكن الفرحة لا تكتمل، إذ يكتشف الجنود الإسرائيليون مخبأ الأسرة ويقومون بإعدامهم جميعا أمام الفتاة التى ترى المشهد بالكامل دون أن تجد أى قدرة على فعل شئ.

غضب صهيوني

وكان من المثير أن أفرادا كثر فى الحكومة الإسرائيلية نفسها قد رددوا العبارة الغربية بإحتواء الفيلم على أكاذيب، متناسين أن الفن لا يُمكن محاسبته تاريخيا، وإن كانت الوقائع المعروضة هى محض خيال، فإنها فى حقيقة الأمر مستلهمة من وقائع مشابهة حدثت بالفعل فى كثير من القرى الفلسطينية إبان النكبة. والغريب أن عبارات حق الفن أن يقول كلمته، وحرية المبدع فى تقديم إبداعه اختفت تماما عندما عرض الفيلم عربيا قبل إنتقاله إلى «نيتفليكس»، ووصل الأمر بالحكومة الإسرائيلية إلى دعم تصويت إلكتروني يستهدف خفض تقييم الفيلم على المنصة العالمية كنوع من دفع المتفرج العالمى لإهماله.

المثير أن أفرادا كثر فى الحكومة الإسرائيلية نفسها قد رددوا العبارة الغريبة بإحتواء الفيلم على أكاذيب، متناسين أن الفن لا يُمكن محاسبته تاريخيا، وإن كانت الوقائع المعروضة هى محض خيال، فإنها فى حقيقة الأمر مستلهمة من وقائع مشابهة حدثت بالفعل فى كثير من القرى الفلسطينية إبان النكبة. والغريب أن عبارات حق الفن أن يقول كلمته، وحرية المبدع فى تقديم إبداعه اختفت تماما عندما عرض الفيلم عربيا قبل إنتقاله إلى «نيتفليكس»، ووصل الأمر بالحكومة الإسرائيلية إلى دعم تصويت إلكتروني يستهدف خفض تقييم الفيلم على المنصة العالمية كنوع من دفع المتفرج العالمى لإهماله

أفيش فيلم فرحة.

أثنا ندين أيضا رسائل الكراهية والمضايقات والاتهامات والتنمر من قبل إسرائيليين والتى استهدفت مخرجة الفيلم على منصات التواصل الاجتماعى وعلى باقى وسائل التواصل الأخرى.

ميزات فنية

وبعيدا عن الحملة الممنهجة ضد الفيلم، وبعيدا عن أصل القصة، فإن النقاد الفنيون فى العالم العربى يرون أن الفيلم مذهل بالأداء المميز لكرم الطاهر والتى قامت بدور فرحة، وبالتصوير الاحترفى لراشيل عون. وفى تصورهم، فإن القول بأن الفيلم مذهل، لا يعنى بالضرورة أن يتماثل مع ما نفكر به، لكن تصوير الفتاة البطلة فرحة على كونها فتاة تعانى من رهاب الأماكن المغلقة، يحمل إشارة واضحة حول القيود المفروضة على تمثيل التاريخ الفلسطينى فى السينما العالمية.

دارين سلام تُبهر العالم بقدرة الكاميرا على إعادة حكى المأساة

إن فكرة حبس فرحة نفسها يشير إلى حبس المعانى الجميلة والقيم الطيبة والحق، وهى فتاة مغايرة لمن حولها إذ ترفض العادات السائدة والعرف الإجتماعى الذى يُرسخ فكرة الزواج المبكر لستر البنت وكأنها مُجرد كيان تابع للرجل فقط، دون حق أو رأى أو اختيار. إن فكرة الزواج مقبولة ضمنيا من المُجتمع داخل مجموعات النساء، لكن فرحة تنظر لها باعتبارها قيدا أو عائقا فى طريقها للفوز بتعليم جيد، يؤهلها لتصبح إنسانا آخرا متطورا ومتحضرا ومتحققا فى مجتمعها.

إن النكبة هُنا هى المطب الأكبر، والسد العظيم أمام أحلام الساعين إلى الصعود، فلولا النكبة وما تضمنته من قتل وتهجير وتشريد وخراب لتمكنت الفتاة الحالمة فرحة أن تحقق حلمها، أن تخالف ما يفرضه القطيع، وأن ترسم مسارها وتصنع بنفسها المستقبل الذى تحلم به.

وبمجرد أن يبدأ التطهير العرقى وتتعرض القرية للهجوم، يصبح حبس فرحة الاجتماعى حقيقيًا. فهى ترفض الإخلاء مع أسرة عمها، وتبقى إلى جوار والدها الذى يدفعه خوفه من الاعتداء عليها مثل آخريات مررن بالتجربة ذاتها إلى أخفاءها فى حبس اختيارى حتى لا تسقط فى أيدى البرابرة المغتصبين. وتواجه هى تبعات الحبس من هزال نتيجة الجوع واختناق الهواء والحرمان من الحياة الطبيعية ليشعر المتفرج بحجم المعاناة الحقيقية لفتاة مُنحبسة خوفا فى إشارة شعب مقموع يجابه آلة حرب بربرية. تتجدد المجازر وتعاين الفتاة الصغيرة مشاعر القتلة وهو يقطفون أرواح عائلة بريئة لم يجنى أيا من أفرادها إثما.

رموز واضحة

وتبدو الرموز المستخدمة موظفة جيدا بائتلاف إخراج متميز إحترافي، مع نص مكتوب بعناية يحمل كثير من الدلالات القوية وكأننا نشاهد فيلما هوليوديا عظيما، مع فارق جوهرى عظيم هو عدم شيطنة الفلسطينيين وتبديل الصورة القاتمة المُفزعة للعرب بكونهم أشخاص محبين للعنف وضالعين فيه..

وترى الناقدة آمية كابل أن تمثيلات فلسطين - سواء من خلال السينما الفلسطينية أو السينما التضامنية مع فلسطين - ليست منفصلة عن الاقتصاد السياسى لصناعة السينما العالمية ، والتى لا تزال منظمة إلى حد كبير من خلال نموذج «السينما الوطنية». وهذا هو المكان الذى تصبح فيه الأسئلة حول إذن السرد وهوية المخرج والتصنيف الوطنى للفيلم فوضوية. لقد صنع مشهد إدانة الدولة الإسرائيلية للفيلم مجموعة من القطع الفكرية التى تستخدم هذا كدليل على أن التمثيل هو أحد الأساليب - إن لم يكن الأكثر أهمية - فى النضال من أجل تقرير المصير الفلسطينى والتحرير النهائي. هذا التشديد المفرط على التمثيل له تأثير مؤسف يتمثل فى حصر الخطاب العام فى الفيلم على تثمين كبير على مستوى السطح للصورة والسرد، ويعيق مخاوف مهمة بشأن الإذن السردي، والاقتصاد السياسى ، والأهم من ذلك، الهوية الوطنية السينمائية لفرحة.

كان الفيلم قد حصل على منحة الإنتاج لمشاريع أفلام روائية طويلة فى عام 2019، ومنحة ما بعد الإنتاج فى عام 2020، ضمن صندوق الأردن لدعم الأفلام، كما حصلت مخرجته على جائزتين فى مهرجان دبى السينمائى الدولى عن نص سيناريو الفيلم، وجائزة وزارة الداخلية الإماراتية للسينما عن أفضل سيناريو مجتمعي،وشارك الفيلم، عندما كان فى مرحلة التصوير، فى مهرجانات سينمائية عربية، وحصد العديد من الجوائز فى أيام قرطاج السينمائية، وملتقى بيروت السينمائي، وأيام بيروت السينمائية.

ودارين سلام،هى مخرجة أردنية من أصل فلسطيني، وحصلت خمسة من أفلامها القصيرة على العديد من الجوائز، وتمّ عرضها فى المهرجانات العالمية، من بينها فيلما «لا زلت حيا» (2010) و«الظلام فى الخارج» (2012) الذى شارك فى المهرجان الدولي.

يوافق التاسع من إبريل ذكرى ميلاد الروائى الفلسطينى غسان كنفانى سنة 1936، الذى عبرت أعماله الإبداعية عن عمق المأساة الفلسطينية، والذى اغتالته أيدى الموساد فى بيروت سنة 1972.

فى ذكرى ميلاد غسان كنفاني..

قراءة جديدة لرواية «رجال فى الشمس»

الروائى غسان كنفاني.

وتعد روايته «رجال فى الشمس»، التى نشرت طبعتها الأولى سنة 1963، فى التعبير الناضج، فكريًا وفنيًا، عن رؤية عميقة للتوابع والآثار الكارثية المترتبة على نكبة 1948، حيث هزيمة الجيوش العربية بعد تدخلها فى أعقاب الإعلان عن قيام دولة إسرائيل.

عشر سنوات تمر، حافلة بالركود والعجز عن التحرك الإيجابي، يتوزع خلالها اللاجئون الفلسطينيون فى محطات الشتات والمنفى، وتغيب المقاومة الجماعية المنظمة القادرة على مواجهة التحدى الخطير ورسم خارطة طريق العودة. يقدم غسان كنفانى فى روايته ثلاث شخصيات فلسطينية مقهورة معذبة، ينتمون إلى أجيال مختلفة متكاملة متتابعة، يبحثون عن الخلاص الفردى عبر حلم السفر غير الشرعى إلى الكويت، فهناك يتبلور طموح العمل والثراء والتخلص من لعنة الهموم المدمرة التى تحاصرهم وتحيل الحياة إلى جحيم لا يُطاق.

«أبو قيس» و«أسعد» و«مروان» يختلفون فى الكثير من الملامح والسمات والرؤى، وتتباين دوافع تفكيرهم فى الهجرة، لكن جوهر الاتفاق الأساس بينهم هو الاقتناع اليقينى الحاسم بأن الكويت هى الحل، والمشترك الثانى الذى يوحدهم يتمثل فى استقرارهم على اختيار السائق «أبو الخيزران» وسيلة للخروج بهم من المأزق الذى يكابدونه جميعًا. السائق الماهر الماكر هو الأفضل فى المقابل المادى المطلوب مقارنة بغيره، ولا بأس عندهم من تحمل مشقة الاختباء فى خزان الماء الخالى لفترة قصيرة حتى يتسنى عبور الحدود.

يهربون من مخاوف الموت بأيدى المهربين التقليديين، إلى الموت بمعرفة ابن وطنهم. ليس شيطانًا يتعمد إلحاق الأذى بهم، وسر المأساة كامن فى المناخ العام الضاغط، الأكثر تعقيدًا مما يتوهمون، ويتوهم، وعندئذ تبدو النهاية الكابوسية قدرًا لا مهرب منه ولا نجاة.

* أجيال الهاربين *

قبل عشر سنوات من بداية أحداث الرواية، يفقد أبو قيس وطنه وبيته وشجرات الزيتون التى يملكها. لا شيء فى حياته بعد النكبة إلا الخواء وهيمنة الشعور بالضياع، والانتظار العقيم عمله الوحيد فى المخيمات التى تخلو بالضرورة من المعنى والجدوى. استعادة الماضى القريب، بكل مفرداته الوردية المندثرة، هى الحلم الذى يتشبث به ولا يتخلى عنه، وفى هذا السياق الحلمى لا يبدو مستغربًا أن يحسد الأستاذ سليم،

بقلم:
مصطفى بيومي
روائى وناقد أدبى من مصر

المدرس الذى يموت قبل يوم واحد من سقوط القرية فى أيدى اليهود: «يا رحمة الله عليك يا أستاذ سليم!.. يا رحمة الله عليك. لا شك أنك ذو حظوة عند الله حين جعلك تموت قبل ليلة واحدة من سقوط القرية المسكينة فى أيدى اليهود.. ليلة واحدة فقط.. يا الله! أتوجد ثمة نعمة إلهية أكبر من هذه؟.. صحيح أن الرجال كانوا فى شغل عن دفنك وعن إكرام موتك.. ولكنك على أى حال بقيت هناك.. بقيت هناك ووفرت على نفسك الذل والمسكنة وأنقذت شيخوختك من العار.. يا رحمة الله عليك يا أستاذ سليم.. ترى لو عشت، لو أغرقك الفقر كما أغرقني.. أكنت تفعل ما أفعل الآن؟ أكنت تقبل أن تحمل سنيك كلها على كتفيك وتهرب عبر الصحراء إلى الكويت كى تجد لقمة خبز؟».

لا تعاسة تفوق أن يُحسد الموتى المدفونون فى أرض الوطن قبل ضياعه، أما السؤال عن قرار الأستاذ بشأن السفر ولقمة الخبز فلا ينتظر إجابة، والأمر أقرب إلى التنفيس. يعى أبو قيس، والآلاف من أمثاله، أن الكويت ليست وطنًا بديلاً مشبعًا بقدر ما هى الخلاص المتاح من لعنة الفقر والحاجة. قد يكون صحيحًا أنها تخلو من الأشجار، العلامة الأبرز والأجمل فى الوطن الضائع، لكنها الأداة الوحيدة لاستعادة بعض ملامح العالم المندثر.

لا شيء يستحق الذكر فى سنوات العذاب العشر إلا الحنين وأحلام اليقظة، ومغامرة السفر غير مأمونة العواقب ضرورية لتحقيق التوازن المفقود. الموت ليس أسوأ من الحياة التى يعيشها أبو قيس فى المخيمات، وبتعبير صديقه سعد الذى يحضه على السفر: «تموت؟ هيه. من قال إن ذلك ليس أفضل من حياتك الآن؟ منذ عشر سنوات وأنت تأمل أن تعود إلى شجرات الزيتون العشر التى امتلكتها مرة فى قريتك.. قريتك! هيه!».

أين هى القرية وأشجار الزيتون؟. لا مكان لهما إلا فى الخيال. ما أكثر الأحلام التى يمكن تحقيقها بعد السفر والعمل وتكوين ثروة صغيرة تؤمن مستقبل الابنين، وتتيح امتلاك بيت وقطعة من الأرض: «وقد نشترى عرق زيتون أو اثنين».

إذا كان أبو قيس، فى معاناته وأحلامه، هو التعبير الأفضل عن الجيل القديم العجوز، فإن «أسعد» ينتمى إلى جيل الوسط. يهرب من الأردن إلى العراق فى تجربة مؤلمة مرهقة، ثم يشرع فى هروب جديد إلى الكويت. لا يتردد العم فى إقراضه، ليس لدوافع وأسباب عاطفية عائلية، بل من منطلق المصلحة الشخصية الأنانية التى تسيطر عليه وتتحكم فى قراره المحسوب: «شد على النقود فى جيبه وفكر: سوف يكون بوسعى أن أرد لعمى المبلغ فى أقل من شهر. هناك فى الكويت يستطيع المرء أن يجمع نقودًا فى مثل لمح البصر..

– لا تتفاءل كثيرًا، قبلك ذهب العشرات ثم عادوا دون أن يحضروا قرشًا.. ورغم ذلك سأعطيك الخمسين دينارًا التى طلبتها، وعليك أن تعرف أنها جنى عمر..

– إذن لماذا تعطينى النقود إذا كنت متأكدًا من أننى لن اعيدها لك؟

– أنت تعرف لماذا.. ألست تعرف؟ إننى أريدك أن تبدأ.. أن تبدأ ولو فى الجحيم حتى يصير بوسعك أن تتزوج ندى.. إننى لا أستطيع أن أتصور ابنتى المسكينة تنتظر أكثر. هل تفهمني؟..

أحس الإهانة تجترح حلقه ورغب فى أن يرد الخمسين دينارًا لعمه يقذفها بوجهه بكل ما فى ذراعه من عنف وفى صدره من حقد، يزوجه ندى! من الذى قال له إنه يريد أن يتزوج ندى؟..

صفقة علنية لا يمكن إخفاؤها ويصعب استيعابها والتسليم بها لفرط ما تتسم به من جفاف وغلظة، والقرض المقدم من العم بمثابة القيد الذى يكبّل ابن أخيه ويعكر صفو الحياة التعيسة من البدء، ولا يملك أسعد أن يتمرد ويتحرر. الإهانة التى تطوله حقيقة موضوعية راسخة جارحة، ولا شيء يفوق إهدار الإرادة وتدمير الكرامة على هذا النحو. لا يحب ابنة عمه، ولا يرحب بالزيجة الأقرب إلى قدر مفروض: «يريد أن يشتريه لابنته مثلما يشترى كيس الروث للحقل. شد على النقود فى جيبه وتحفز فى مكانه.. ولكنه حين لمسها هناك فى جيبه، دافئة ناعمة، شعر بأنه يقبض على مفاتيح المستقبل كله...».

«المستقبل» هنا تعبير فضفاض مراوغ لا يمكن الإمساك بمفاتيحه، و«الحاضر» التعيس البغيض يفرض قوانينه القاسية الجائرة التى لا متسع فيها للرحمة والمشاعر الإنسانية وكل ما يتعلق بالعواطف وحق الاختيار بلا ضغوط.

مروان، الذى لم يتجاوز بعد عامه السادس عشر، ثالث الهاربين من الجحيم إلى الجحيم. إنه الأصغر سنًا والأقل خبرة مقارنة برفيقيه فى رحلة الموت، والشعور الطاغى بالظلم الفادح الذى تتعرض له أمه هو محور حياته وجوهر الأزمة الطاحنة التى يتعذب بها. الأب صانع المأساة بزواجه الجديد، وإدانته تختلط بنزعة مثالية تتوافق مع حداثه السن ومحدودية التجارب: «إنه يستطيع أن يفهم بالضبط ظروف والده، وبوسعه أن يغفر له.. ولكن هل بوسع والده أن يغفر لنفسه تلك الجريمة؟.

أن يترك أربعة أطفال. أن يطلقك أنت بلا أى سبب، ثم يتزوج من تلك المرأة الشوهاء.. هذا أمر لن يغفره لنفسه حين يصحو، ذات يوم، ويكتشف ما فعل. إننى لا أريد أن أكره أحدًا، ليس بوسعى أن أفعل ذلك حتى لو أردت.. ولكن لماذا فعل ذلك، معك أنت؟ أنا أعرف أنك لا تحبين لأحد منا أن يحكى عنه، أعرف.. ولكن لماذا تعتقدين أنه فعل ذلك؟.

لقد مضى كل شيء الآن وراح ولا أمل لنا بأن نستعيده مرة أخرى.. ولكن لماذا فعل ذلك؟ دعينا نسأل، لماذا؟».

أسئلة تنم عن الحيرة، وتكشف عن التعاطف مع الأم، لكن مروان نفسه يعى أن الإسراف فى التحامل على أبيه ليس منطقيًا، ذلك أن الرجل بدوره ضحية للفقر والعوز وقلة الحيلة وثقل المسئولية التى يتحملها، ولا يمكن القول إنه ظالم بالمعنى الدقيق للكلمة. زواجه من امرأة «شوهاء» مقطوعة الساق، لا ينبع من شهوة حسية بطبيعة الحال، فهى لا تمثل مغنمًا من المنظور الجنسي. الاختيار الصادم غير السوى وليد الحصار المادى الخانق الذى يزداد استفحالاً وضراوة بعد امتناع الابن الأكبر زكريا، الذى يعمل فى الكويت، عن الاستمرار فى تقديم الدعم المادى الشهري: «كان زكريا يرسل لنا من الكويت كل شهر حوالى مئتى روبية.. كان هذا المبلغ يحقق لأبى بعض الاستقرار الذى يحلم به».

زواج الأب من المرأة الشوهاء مردود إلى البيت ذى الغرف الثلاث الذى تملكه، ولأن والدها من أصدقائه القدامى، ويريد أن يطمئن على مستقبل ابنته، فإن الصفقة تتم بسلاسة ويسر، وتتحقق من خلالها مصلحة الطرفين: شفيقة تجد زوجًا، ووالد مروان يجد بيتًا ومستقرًا: «لقد فكر والدى بالأمر: لو أجر غرفتين وسكن مع زوجته الكسحاء فى الثالثة إذن لعاش ما تبقى له من الحياة مستقرًا غير ملاحق بأى شيء.. وأهم من ذلك.. تحت سقف من إسمنت».

غلاف رواية رجال فى الشمس

مثل هذه الزيجة النفعية الغرائبية ليست إلا صفقة، مثل تلك التى تُعرض على أسعد فيرضخ مضطرًا دون نظر إلى ما يسكنه من ضيق ورفض. فى ظل الهيمنة الطاغية للفقر، والتكاثر غير المحدود فى أعداد الفقراء، تزدهر مثل هذه الصفقات التى تنبئ عن الخلل من ناحية وتكشف عن حقيقة الضعف الإنسانى من ناحية أخرى.

* أبو الخيزران*

السائق الماهر «أبو الخيزران» فلسطينى مأزوم على الصعيد الشخصي، يعمل فى خدمة تاجر كويتى ثري، والتوافق كبير بين اسمه وهيئته: «فهو رجل طويل القامة جدًا، نحيل جدًا، ولكن عنقه وكفيه تعطى الشعور بالقوة والمتانة. وكان يبدو لسبب ما، أنه بوسعه أن يقوس نفسه، فيضع رأسه بين قدميه دون أن يسبب ذلك أى إزعاج لعموده الفقرى أو بقية عظامه».

يستقر الهاربون الثلاثة على اختيار «أبو الخيزران» ليتولى مهمة قيادتهم إلى محطة «الحلم الكويتي»، وسيارة الماء التى يقودها هى الأداة التى يستعين بها فى عمله الإضافى المربح. فى أجواء القيظ الملتهب، يتحول الخزان الفارغ إلى جحيم حقيقى يفوق طاقة البشر على الاحتمال، لكن ترف الاختيار ليس مطروحًا، وتلعب كلمات السائق المنمقة دورًا مهمًا فى تهوين المصاعب وبث رسائل الطمأنينة: «لا تجعل من القضية مأساة، هذه ليست أول مرة.. هل تعرف ما الذى سيحدث؟ ستنزلون إلى الخزان قبل نقطة الحدود فى صفوان بخمسين مترًا، ساقف على الحدود أقل من خمس دقائق، بعد الحدود بخمسين مترًا ستصعدون إلى فوق.. وفى المطلاع على حدود الكويت، سنكرر المسرحية لخمس دقائق أخرى، ثم هوب! ستجدون أنفسكم فى الكويت!».

نقطة التحول الحاسمة فى حياة «أبو الخيزران»، تقترن بالحادث الذى يطيح برجولته. انفجار مروع وهو يركض مع عدد من الرجال المسلحين، وتتطلب الإصابة الجسيمة عملية جراحية عاجلة، تنقذ حياته وتذهب بقدرته الجنسية: «مرت عشر سنوات على ذلك المشهد الكريه.. مرت عشر سنوات على اليوم الذى اقتلعوا فيه رجولته منه، ولقد عاش هذا الذل يومًا وراء يوم وساعة أثر ساعة، مضغه مع كبريائه، وافتقده كل لحظة من لحظات هذه السنوات العشر. ورغم ذلك فإنه لم يعتده قط، لم يقبله قط.. عشر سنوات طوال وهو يحاول أن يقبل الأمور، ولكن أيه أمور؟ أن يعترف ببساطة بأنه قد ضيع رجولته فى سبيل الوطن؟ وما النفع؟ لقد ضاعت رجولته وضاع الوطن وتبًا لكل شيء فى هذا الكون الملعون..

كلا إنه لم يقبل، بعد عشر سنوات، أن ينسى مأساته ويعتادها. بل إنه لم يقبل ذلك حتى حين كان تحت المبضع يحاولون أن يقنعوه بأن فقدان الرجولة أرحم من فقدان الحياة».

لا يستسلم أبو الخيزران لفكرة فقدان الرجولة ولا يتعايش معها، وبعد سنوات طوال من المأساة الموجعة لا يغادره الشعور بالفقد والمرارة ولعنة الحرمان. الحياة بعد الحادث القديم ذات مذاق مختلف وتوجه مغاير، ومن البدهى أن تتأثر شخصية السائق وتختل منظومة القيم التى تحكم سلوكه. تغيب لذة الجنس، ويتحول المال إلى هدف وحيد يعيش من أجله. كل السبل والوسائل عنده مشروعة مبررة لتحقيق حلم الثراء غير المحدود، أما المستقبل الذى يراوده فيتمثل فى كلماته المكثفة الدالة التى يقولها لأسعد: «إننى أريد مزيدًا من النقود.. مزيدًا من النقود.. ولقد اكتشفت أنه من الصعب تجميع ثروة عن طريق التهذيب.. أترى هذا المخلوق الحقير الذى هو أنا؟ إننى أمتلك بعض المال! وبعد عامين سأترك كل شيء وأستقر.. أريد أن أستريح.. أتمدد.. أستلقى فى الظل وأفكر أو لا أفكر.. لا أريد أن أتحرك قط.. لقد تعبت فى حياتى بشكل أكثر من كاف! أى والله، أكثر من كاف».

لاشك أن سلوك السائق المأزوم المعذب ليس مثاليًا نقيًا جديرًا بالاحترام، لكنه أيضًا ضحية مثل الآخرين. لا يعنى هذا دفاعًا عنه أو تبريرًا تجميليًا لشراهته وجشعه وكذبه وأنانيته. لابد من الإقرار بمرضه الخطير، التطلع النهم إلى الثراء، ولابد

المبدع الشهيد رسم أوجاع ما بعد النكبة طارحا تساؤلات الحياة والموت

من إدراك أسباب المرض حتى يكتمل المشهد، فهو إنسان فى نهاية الأمر ولا يُحسب على عالم الشياطين. يتوق أن يصل فى يوم ما إلى محطة الراحة والتقاط الأنفاس وإدارة الظهر لحياة مرهقة حافلة بالتعب. «السيناريو» الذى يعتمد عليه للوصول بزبائنه الثلاثة إلى بر الأمان، الكويت، يبدو متماسكًا مقنعًا على الصعيد النظري، لكن التعثر فى الجزء الثانى من خطة التهريب، لأسباب خارجة عن إرادته، يفضى إلى هلاك من معه وسقوطهم فى هاوية النهاية الكارثية الكابوسية. لا شيء فى خزان الماء الخالى إلا الجثث التى يفتك جحيم القيظ بأصحابها، ولا يتردد أبو الخيزران فى استكمال الرحلة كأن شيئًا لم يحدث، ذلك أن الحياة الحافلة بالمآسى لا تتوقف لموت أحد، وإسدال الستار على القصة يتطلب سرعة دفن الموتى وإغلاق الملف: «لقد قر قراره منذ الظهيرة على أن يدفنهم، واحدًا واحدًا فى ثلاثة قبور.. أما الآن فإنه يحس بالتعب يتآكله فكأن ذراعيه قد حُقنتا بمخدر.. لا طاقة له على العمل.. ولن يكون بوسعه أن يحمل الونش ساعات طويلة ليحفر ثلاثة قبور. قبل أن يتجه إلى سيارته ويخرجها من جراج الحاج رضا. قال فى ذات نفسه إنه لن يدفنهم، بل سيلقى بالأجساد الثلاثة فى الصحراء ويكر عائدًا إلى بيته.. الآن، لم تعجبه الفكرة، لا يروقه أن تذوب أجساد الرفاق فى الصحراء ثم تكون نهبا للجوارح والحيوانات.. ثم لا يبقى منها بعد أيام إلا هياكل بيضاء ملقاة فوق الرمال».

تأرجح أبو الخيزران بين مشاعر متناقضة وقرارات مختلفة، يعنى أنه مضطرب مرتبك يكابد مزيجًا من مشاعر الحزن والندم، وصولاً إلى الحيرة وغياب الاستقرار. لا يتناسى، فى الوقت نفسه، ضرورة أن ينجو بفعلته ويتجنب المشاكل. لا يملك أن يعيد الحياة إلى جثث الموتى، ومصيرهم هذا وليد أسباب معقدة متشابكة لا يتحمل السائق التعيس مسئوليتها. ما أكثر الهياكل العظمية فى الصحراء الواسعة مترامية الأطراف، ولن يكون أبو قيس وأسعد ومروان آخر الضحايا. أى جدوى إذا فى إضافة ضحية جديدة مجانية؟. يستخرج جثث رفاق الرحلة المشئومة من الخزان، ويجرها من الأقدام ليلقيها على رأس الطريق: «حيث تقف سيارات البلدية عادة لإلقاء قمامتها كى تتيسر فرصة رؤيتها لأول سائق قادم فى الصباح الباكر».

لا متسع هنا ولا معنى أو جدوى للحديث الانفعالى المغلف بالعاطفة عن غياب المشاعر الإنسانية الرقيقة، ولا منطق فى الإشارة إلى تبلد القلب وجفاف الروح وانتهاك جلال الموت وتراجع الاحترام للمواريث والأعراف ذات القداسة. الصراع فى جوهره بين الموت والحياة، وفى إطار هذه الثنائية لابد من تجاوز الحالات الفردية. يتحرك أبو الخيزران محكومًا بالقوانين السائدة، ولا يملك إلا أن يكون عمليًا قاسيًا بعيدًا عن الإسراف العاطفى غير المحسوب «شيطنة». السائق تخلو من الاعتدال والإنصاف والموضوعية، فهو ابن المرحلة التاريخية وأسير المنظومة النفعية الجافة التى تتحكم فى الإيقاع العام.

* الدق على الجدران *

الشخوص الذين يقدمهم غسان كنفاني، متخلصًا من لعنتى التعاطف والتحامل، بشر عاديون منشغلون بهموم ذاتية ضاغطة، تزيح القضية الوطنية الأم، ولا يعنى هذا بطبيعة الحال أنهم بعيدون عن الانتماء وعشق الوطن، بل إنه يشير إلى هيمنة المشاغل الفردية فى المقام الأول، وعشر سنوات بعد النكبة لا تكفى لصناعة وعى مختلف يمزج بين الذاتى والموضوعي.

لا يتورع أبو الخيزران عن العودة إلى الجثث بعد إلقائها فى صدارة أكوام القمامة، والهدف من عودته أن يسلب النقود من الجيوب، وينتزع القليل التافه من المتاح الذى قد يجده: «ما لبث أن تنبه إلى أمر ما بعد أن قطع شوطا فأطفأ محرك سيارته من جديد وعاد يسير إلى حيث ترك الجثث فأخرج النقود من جيوبها، وانتزع ساعة مروان، وعاد أدراجه إلى السيارة ماشيًا على حافتى حذائه».

المشهد بالغ القسوة، ظاهريًا، بقدر ما هو منطقى مبرر لا صعوبة فى فهمه واستيعابه والتسليم بمصداقيته وواقعيته، ذلك أنه لا توجد منطقة وسطى يمكن أن يقف فيها أبو الخيزران، وتتيح له أن يحافظ على مصالحه ويراعى حرمة الموتى. هلاكهم فى الجحيم الأرضى قدر لا يقوى السائق على تغيير مساره. التخلص من الجثث على هذا النحو ضرورة حتمية، والعودة للاستحواذ على القليل مما فى حوزتهم بمثابة التتويج للقسوة، وترجمة عصرية عملية للمقولة القديمة المتجددة: هل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها؟. لن يفيد الموتى شيئًا من النقود والساعة، فلماذا لا يحصل على أسلابهم وهو المريض بطموح الثراء؟.

المبالغة فى إدانة الهاربين الثلاثة وسائقهم ليست موقفًا عادلاً منصفًا، والإسراف فى الحديث ذى النبرة الثورية عن خطورة «الحل الفردي»، يجافى خريطة الواقع الإنسانى الذى يعايشه بشر عاديون مازومون، يتطلعون إلى خلاص ذاتى سريع لا يتكئ على رؤية شاملة واعية تنتصر للعمل الجماعى المنظم، الذى لا وجود له خلال المرحلة التاريخية.

المقولات سابقة التجهيز لا يمكن أن تكون واقعية مقنعة، والضحايا يدفعون حيواتهم ثمنًا لأزمة موضوعية خانقة، تتجاوزهم وتجبرهم على الخضوع لقوانين ليسوا مسئولين عن صناعتها. كيف يُطالب اللاجئ الفلسطيني، الذى يعايش أوضاعًا غير إنسانية، بانتظار طويل لا يمكن التنبؤ بموعد نهايته.

مع بداية رحلة الموت، يقول أبو الخيزران لأسعد: «هل تتصور؟.. إن هذه الكيلومترات المئة والخمسين أشبهها بينى وبين نفسى بالصراط الذى وعد الله خلقه أن يسيروا عليه قبل أن يجرى توزيعهم بين الجنة والنار.. فمن سقط عن الصراط ذهب إلى النار، ومن اجتازه وصل إلى الجنة.. أما الملائكة هنا فهم رجال الحدود!.

انفجر أبو الخيزران ضحايا، كأنه لم يكن هو الذى قال ذلك، ثم أخذ يضرب المقود بكلتا يديه ويهز رأسه»!.

السخرية اللاذعة لا تنفى دقة وعمق المقولة المضيئة الكاشفة، وهى تنطبق على أسعد ورفيقيه والآلاف غيرهم. تتسم الكويت بمناخ شديد القيظ، ولا خضرة فيها أو أشجار، لكنها الجنة الموعودة عند اللائذين بها واللاجئين إليها، بالمشروع وغير المشروع من الطرق، هروبًا من الفقر والضياع والبقاء معذبين فى المخيمات بلا عمل أو أمل. لكل منهم هدفه ومبتغاه من الرحلة التى تفضى إلى الموت، واللافت للنظر بحق هو ذلك الاستسلام المطلق للنهاية، دون تفكير فى الحد الأدنى من فعل المقاومة الشكلية التى تتمثل فى الاستغاثة ودق جدران الخزان. هكذا تنتهى الرواية بالفكرة التى تشتعل فى رأس «أبو الخيزران» وتسيطر عليه. يبوح بها لنفسه كأنه ينفس عن هواجس الضيق التى تسكنه: «لم يعد بوسعه أن يكبحها داخل رأسه أكثر فأسقط يديه إلى جنبيه وحدق فى العتمة ووسع حدقتيه.

انزلقت الفكرة من رأسه ثم تدحرجت على لسانه:

– لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟..

دار حول نفسه دورة ولكنه خشى أن يقع فصعد الدرجة إلى مقعده وأسند رأسه فوق المقود:

– لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقولوا؟ لماذا..

وفجأة بدأت الصحراء كلها تردد الصدى:

– لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تفزعوا جدران الخزان؟.. لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟».

لماذا؟! الإجابة ليست مستحيلة أو مستعصية. قد تراودهم فكرة الطرق على جدران الخزان بعد الوقوف على حافة الموت، ولابد أيضًا أن تهيمن عليهم فى المقابل مخاوف اكتشاف المخبأ وتدخل «ملائكة» حرس الحدود لحرمانهم من الوصول إلى الجنة الموعودة، ثم يأتى الموت فيضع نهاية للحيرة والعذاب معًا!.

يتكئ المبدع الفلسطينى على خلفيته الشعرية، قاموسه اللُغوى الساحر، وعباراته اللافتة، وذكرياته المُلهمة ليُمارس تجربة السرد الروائى بنفس طويل، نقي، يتلمس به بصمة خالدة تدمغ الروح وتلتصق بالوجدان. يستحق الروائى إبراهيم نصر الله ما حقق من حضور صاخب فى الوسط الأدبى العربي، والعالمى بمشروعه الشعرى القوى المتمثل فى إثنى عشر ديوانا، وإنتاجه الروائى المتميز البالغ إثنين وعشرين رواية، لدرجة تصح معها المقولة التقليدية الشائعة فى أوساط الأدباء بأن كل الجوائز التى حازها،هى التى فازت بالمبدع قبل أن يفوز هو بها.

إبراهيم نصر الله ينقل طفولته للقارئ بلوحة سردية مبهرة

بالفعل فقد نال إبراهيم نصر الله جائزة الرواية العربية العالمية «البوكر» سنة 2018 عن روايته «حرب الكلب الثانية» وفاز بجائزة كتارا العربية للرواية مرتين، الأولى سنة 2016 عن رواية «أرواح كليمنجارو»، والثانية سنة 2020 عن روايته «دبابة تحت شجرة عيد الميلاد». كما نال جائزة سلطان العويس للشعر العربى سنة 1997، وجائزة عرار للشعر سنة 1991، وجائزة تيسير سبول للرواية سنة 1994، وجائزة القدس للثقافة والإبداع سنة 2012، فضلا عن جائزة رابطة الكتاب الأردنيين لثلاث مرات. كما أعلن مؤخرا عن فوز المبدع بجائزة فلسطين للآداب لسنة 2022 عن مجمل أعماله، وجاء فى حيثيات فوزه أنه «يعد من أكثر الكتاب مقروئية فى العالم العربي؛ فى شعره وأعماله الروائية، وقد شق دروبا للنضال والمقاومة والأمل الفلسطيني، وترك أثرا عميقا فى الأجيال الجديدة بخطاب فنى جديد، وتعد كتبه ومقالاته الواسعة

أوجاع المنافى تُعلم الأطفال ما تعجز المدارس والجامعات من ترسيخه لفهم الحياة

واحة من المعرفة والجمال. وذكرت الحيثيات أيضا أن نصر الله ليس كاتبا معاصرا قويا وحسب، بل شخصية بارزة فى الأدب العربى والعالمي، وتحمل موهبته الرائعة ثقل التاريخ والإنسانية بطريقة نادرا ما ترى فى عالم الأدب.

وفى الحقيقة فإن الرواية الأحدث للروائى الكبير، والتى تحمل عنوانا مستحدثا هو «طفولتى حتى الآن»، والصادر مؤخرا عن دار طباق للنشر فى نحو 520 صفحة، تمثل إطلالة جديدو ساحرة على جانب هام من تاريخ يُسميه هو بالملهاة الفلسطينية، كسرا لفكرة تسمية الواقع الفلسطينى بالمأساة، تحت لافتة أن النضال والكفاح الفلسطينى لن يخبو أبدا.

لقد سبق وقدم لنا الروائى لمحات من تاريخ فلسطين بدءا من قناديل ملك الجليل إلى دبابة عيد الميلاد، ومن عكا وظاهر العمر إلى بيت ساحور وقصة صمود أهلها خلال الانتفاضة

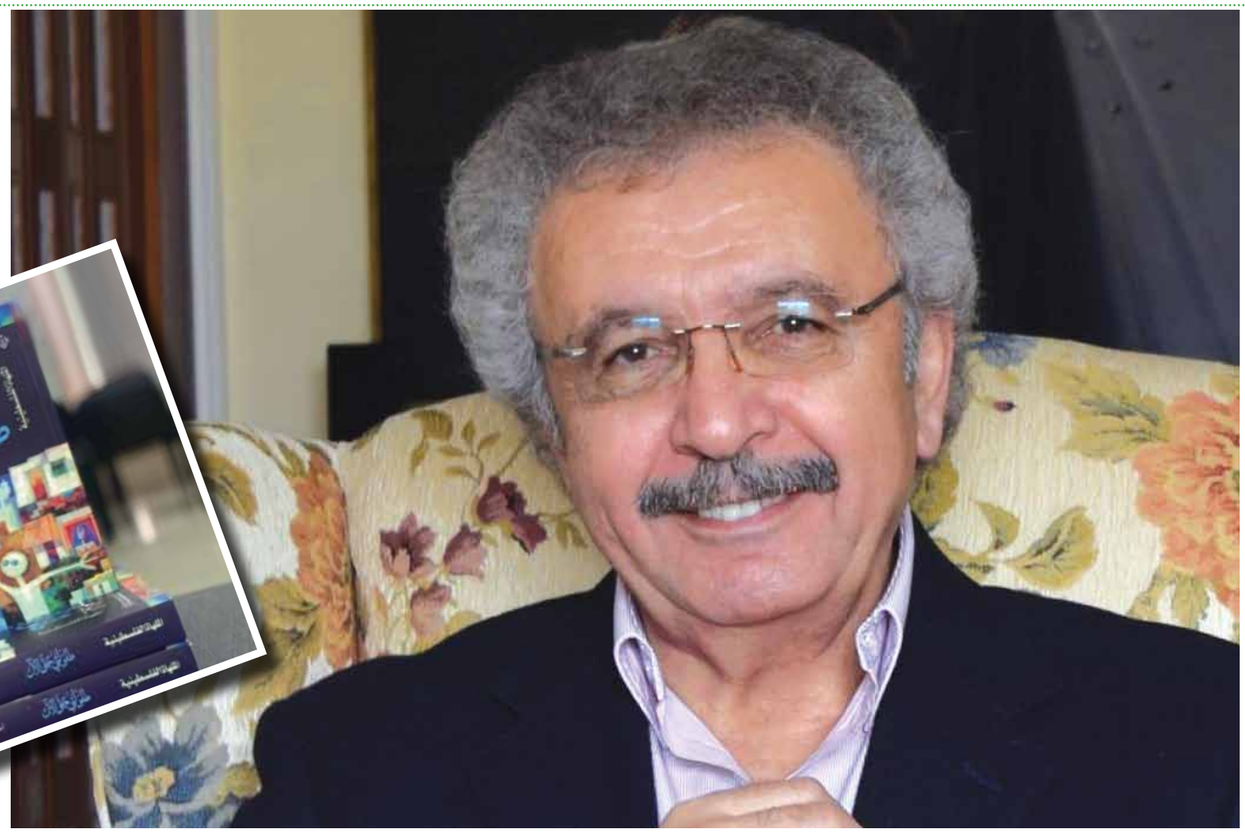

الشاعر والروائى إبراهيم نصر الله

الثانية. وفى روايته الجديدة، وبأسلوبه الشعرى الفاتن، واستحضاره لتمازج الأزمنة واستدعاء الذكريات يستكمل المبدع سرده لباقى رؤيته للملهاة.

إن الرواية كما كتبت دار النشر على ظهر الغلاف هى رواية حبٍّ فلسطينى مختلف، عابر للفقر والقهر والحروب الصغيرة والكبيرة. وبقدر ما تحتضنُ سيرةَ ساردها وشخصيّاتها، على مدى ستّين عامًا، فإنها تحتضنُ سيرة شعبٍ. وبقدر ما هى سيرة للمكان الحاضر، المخيم، فإنّها سيرةٌ للمكان الغائب، فلسطين.»

تبدأ الرواية خلال عزل كورونا، ورسائل بين الكاتب وإبنة عمه نور تستدعى الذكريات والتاريخ والأحلام، والمدن البعيدة بمشاهدها التى لا تُمحى من الذاكرة. يسافر الكاتب شرقا وغربا ويشعر أنه لا يمتلك سوى شهادة المرور من مطار إلى آخر، وفى ذهنيته صورة قديمة لطائرات ورقية وكرتونية كتب عليها أسماء العواصم العربية ومسافات السفر وهو طفل صغير. لا يحكى الراوى مشاهد الوجع الفلسطينى فى الشتات، وفى اللجوء، وفى السفر والمنع عبر المطارات المختلفة، والغربة الدائمة، وإنما هو يُضئ عتمات النص ليتسكشف كل قارئ هذه الأوجاع ويتجرع مرارتها بنفسه عبر وجدان يقظ.

وفيما بعد النكسة سنة 1967 يبحث الشاعر إبراهيم عن ذاته، عن ذلك الشاعر القاهر الذى ينتصر بالقصيدة، أحب خاله لأنه شجعه وسانده، وكره صديق والده لأنه انتقد نزعة التغيير فى شعره، وطلب من أمه أن تنجب له فتاة ليسميها فدوى على اسم الشاعرة فدوى طوقان. فى تصوره، فقد كان الشعر وحده هو المحفز على البقاء والعيش بكرامة ومقاومة

قراءة:
مصطفى عبيد

غلاف رواية «طفولتى حتى الآن»

الشتات وخلخلة الجمود السياسي. أحب الحب، أدمن الفن، وانخلع بالتطور العمراني، والحياة المدنية، وفكر فى بناء ذاته وسرح فى مستقبل الفلسطينى الممنوع من العودة لدياره. كان يرى أن الفلسطينى مطالب بالتمسك بالجمال الأول، الذى عايشه فى أرضه، والمحظور عليه، وشب متوغلا فى الأحداث السياسية، قادرا على قراءتها، مستضيئا بوعى حقيقى مبهر، متحملا لحوادث فقد محزنة هنا وهناك. لقد كبر إبراهيم وأصبح أكثر وعيا وصار رجلا، ونما حسه الأدبى وسعى إلى تلحين قصيدة شعرية له، وذهبت نور إلى مصر لتردس الطب وساهمت فى إسعاف جرحى الحرب مع إسرائيل.

وعبر صفحات الرواية تنقلنا بين محطات عظيمة فى الواقع الفلسطينى بكافة أطيافه من البحر إلى النهر، وتعرفنا على ألوان شتى مما يقاسيه الشعب من أزمات فقر، وبؤس، وموت للحب، وانعدام للأمل.

ومن سياق الرواية المبهر نقرأ هذا المقطع « فتنتنى الكرة الأرضية منذ أن وضع أستاذ الجغرافيا مجسمها على الطاولة، وبحركة صغيرة من إصبعه، دارت الأرض، فراحت بلاد تبتعد وأخرى تقترب.كانت أجمل شئ رأيته فى حياتى على الإطلاق ألوانها، استاع بحارها، مناطقها الخضراء، الصفراء، البنية، الأزرق بتدرجاته، ذلك القوس النحاسى الذى يضمها ليتيح لها الدوران، دورنها. فتنتنى تلك الجزر البعيدة وسط المياة، الجزر الصغيرة، والكبيرة، الأنهار، الغابات، وحيرنى كيف استطاعوا رسم تلك الخطوط المستقيمة والمتعرجة، التى أسموها الحدود، وألزمونا أن نحفظها لنقدم فيها إمتحانات مادة الجغرافيا. لم يكن يعجبنى أن أكون ملزما بأن أحفظ خطوطا ميتة عن ظهر قلب، أو ظهر عين، مثلما على أن أحفظ قصيدة.»

ومنها أيضا نقرأ «أبى علمته النكبة، لكننى كنت أعرف أشياء أكثر منه. فى عالم المنافى يتعلم الأبناء بسرعة تفوق سرعة تعلم آبائهم، فهناك الأب الذى يبدأ عمله قبل شروق الشمس إلى ما بعد غروبها، وهناك الأولاد يعيشون كل ما لا يراه الأب خارج أسوار عمله.»

وفى مقطع آخر يقول لنا الروائي» وعدت إلى الشاعر أبى تمام ذلك الذى حفظنا له عن ظهر قلب (السيف أصدق إنباء من الكتب.. فى حده الحد بين الجد واللعب). تساءلت، رغم قدرتى علَى البوح بسؤالي: لماذا لا يوزعون علَينا السيوف بدل الكتب فى المدارس، مادامت السيوف أصدق؟ ومادامت العصى تنهال على أيدينا بسببها. أى الكتب؟ومادام فى السيوف جد ولعب؟ومادامت مفيدة ومبهجة فى الوقت نفسه؟..»

وإبراهيم نصر الله، ولد من أبوين فلسطينيين، هُجّرا قسرا من أرضهما فى قرية البريج (فلسطين) الواقعة 28 كم غربى القدس عام 1948م. ودرس فى مدارس وكالة الغوث فى مخيم الوحدات، وحصل على دبلوم تربية وعلم نفس من مركز تدريب عمان لإعداد المعلمين فى عمان. وصار الآن واحدا من أكثر الكتاب العرب تأثيرا وانتشارا، حيث تتوالى الطبعات الجديدة من كتبه سنويا، محققة حضورا لدى القارئ العربى والناقد أيضا، كما تحظى أعماله بترجمات إلى لغات مختلفة، وإلى ذلك الكتب النقدية الصادرة عن تجربته، ورسائل الماجستير والدكتوراه المكرسة لدراسة إنتاجه فى الجامعات العربية والأجنبية.

الحب والشعر وذكريات الماضى الجميلة لا تفارق الفلسطينى أينما ارتحل

يارا الغضبان

أنا أرييل شارون بالعربية

صدرت مؤخرا عن دار منشورات المتوسط بإيطاليا الترجمة العربية لرواية الروائية الفلسطينية الكندية يارا الغضبان، بعنوان «أنا أرييل شارون»، وهى الرواية الثالثة لها بعد روايتى «فى ظل الزيتونة»، و«عطرنور»، وتكتب بالفرنسية. وقد صدرت هذه الرواية سنة 2018، ثم ترجمت إلى الإنجليزية سنة 2019، وفازت بجائزة مهرجان بلو متروبوليس، قبل أن يقوم بترجمتها مؤخرا المترجم السورى عصام الشحادات، وتقع فى 176 صفحة من القطع المتوسط.

تتناول الرواية ما يدور فى عقل أريل شارون من مشاعر وأفكار وذكريات خلال ثمانية سنوات ظل خلالها فاقدا للوعى قبيل وفاته سنة 2014.

يقول الناقد الأدبى بول كوتشاك عن الرواية أن ذكاء يارا الغضبان فى هذه الرواية يؤكد لنا مجددا أن الأدب يمكن أن يُضحك، ويبكى فى آن واحد.

وتقول يارا الغضبان فى تصريحات لها حول الرواية الجديدة إنه لا حدود للأدب، يلذا يمكننى أن أقرّر الدخول فى رأس أرييل شارون دون أن يمنعنى أحد، لأننا فى الرواية مُتساوون، وهذا شكل من أشكال المقاومة، وطريقة لإعادة اختراع التاريخ، وجعله أقلّ عنفاً وأكثر مساواة.»

وتضيف «إن الرواية ليست كما يُفسرها العنوان، بل هى استنطاق لذاكرة شارون من وجهة نظر الأدب، ومحاولة للتحَكّم فى هواجسه وإعادة طرح الأسئلة المتعلقة بالهويَّة الفلسطينية التى يعملُ الاحتلال الاسرائيلى على طمسها بشتى الطّرق والوسائل.»

ومن نص الرواية نقرأ « إهْدَأ، اهْدَأ. إنها الحقيقة، والحقيقة لا تَزعج أحداً. والحقيقة حيادية. أنتَ تفقد حواسَّكَ ومَلَكاتكَ، حتَّى القدرة علَى تسمية الأشياء، هويَّتكَ وعُمرِكَ ووجهِكَ. لا تَقلقْ. أنا كلُّ ما لم تعدّه. أنا ما تحبُّهُ وما تكرهُهُ، أنا أحلامُكَ وهَواجسُكَ ونَدَمُكَ. أنا أسمع الكلمات والشكوك والمخاوف. أنا أشاهد، الطفل، ثمَّ الرجل، اندفاعتَكَ فى الحياة، ثمَّ سقوطَكَ.»

ويعد مترجم الرواية أحد المترجمين المهمين عن الفرنسية إذ يشغل أمين مكتبة المعهد الفرنسى للشرق الأدنى، وترجم من قبل كتاب «أكاديمية الجهاد» لنيكولا هينان، ورواية جريمة فى باريس لصوفى إيناف، فضلا عن عشرات الكتب والأعمال الأدبية.

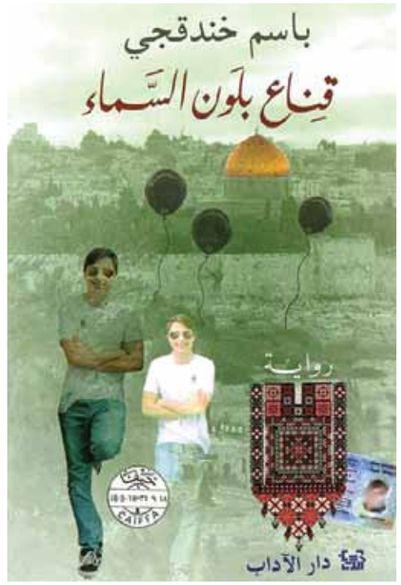

باسم خندقجي يُغرد من جديد

يثير باسم خندقجى بسردياته رؤى وتساؤلات عميقة عن الواقع الفلسطيني، بلغته المُسهبة فى الرشاقة بانتماءها لخلفية شاعرية عميقة، ما يجعل كل رواية جديدة بمثابة اعلان جديد لتوظيف الإبداع فى سبيل المقاومة. من هنا تثير روايته الجديدة الصادرة عن دار الآداب والتى تحمل عنوان «قناع بلون السماء» ضجيجا مستحقا لما تحمله من قراءات عميقة للممارسات ضد المناضلين من أجل فلسطين.

لقد عايش باسم خندقجى تجربة السجن بشكل واقعى بعد اعتقاله للمرة الأولى سنة 2004 وعمره عشرين عاما.

تدور الرواية عن عالم آثار من رام الله اسمه نور، يعثر فى معطف قديم له على هوية زرقاء، فيرتدى قناع المحتل فى محاولة منه لفهم مفردات العقل الصهيوني، ويتحول نور إلى أور ويعمل فى التنقيب فى إحدى المستوطنات لتتجلى أمامه مشاهد فلسطين المطمورة تحت التراب.

وصدر لخندقجى من قبل ديوانى شعر هما «طقوس المرّة الأولى» والذى تمت طباعته فى الدار العربية للعلوم «ناشرون»، ونال إعجاب الكثير من القرّاء، وقامت دار النشر بطباعته مرة أخرى، فضلا عن ديوان آخر صدر عن دار النشر ذاتها بعنوان «أنفاس قصيدة ليلية، قدم له الشاعر زاهى وهبي، فضلا عن رواية بعنوان «خسوف بدر الدين» ورواية أخرى بعنوان «أنفاس امرأة مخذولة».

ترجمة رحلات جيمس فين فى فلسطين قبل ثمانين عاما

«غلاف كتاب دروب غر مطروقة فى فلسطين»

عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وقبل أسابيع قليلة صدر كتاب «دروب غير مطروقة فى فلسطين» من تأليف القنصل السابق جيمس فين، وترجمه إلى اللغة العربية ابو غيدا، وكتب مقدمته المؤرخ الفلسطينى جونى منصور.

وعمل جيمس فين قنصلا لبريطانيا فى مدينة القدس فى مطلع أربعينيات القرن العشرين، وكان معروفا باهتمامه وإنحيازه لليهود وكان ملما باللغتين العربية والعبرية.

وكشف مترجم الكتاب بأنه لم يترجم كافة فصول الكتاب، وإنما اختار بعض الفصول التى تتحدث عن نحو 250 قرية وبلدة فلسطينية جرى تهجيرها لاحقا فى عام 1948. وتتناول هذه الفصول بالوصف مناطق لم يسبق أن كتب عنها أحد الرحالة فى فلسطين مثل بئر السبع وغزة وهو ما يمنح المهتمين بتاريخ فلسطين محتوى بالغ الثراء حول المعلومات الديموغرافية والاجتماعية والجغرافية فى فلسطين فى أواسط القرن التاسع عشر، وعشية نكبتها ونكبة سكانها الذين بات أحفادهم الآن لاجئين فى شتى أنحاء العالم.

وجاء الكتاب فى تسعة فصول، يتحدث الأول عن نهر الأردن والعودة من الغرب، أما الفصل الثاني، ففيه تحرك القنصل و شمالا إلى بيسان وقدس وراس العين، وفى الفصل الثالث اتجه جنوبا إلى السهل الفلسطينى وشريطه الساحلي، وحكى فى الفصل الرابع عن رحلته من الخليل إلى بير السبع، ومن الخليل إلى يافا، وتحدث فى الفصل الخامس عن أرض بنيامين، ثم تناول الفصل السادس رحلته من سبسطية إلى حيفا، وتناول السابع، مرج ابن عامر والمناطق المجاورة، والفصل الثامن غابات الجليل الأعلى، وتناول الفصل التاسع الرحلة من القدس إلى البتراء، ثم العودة عن طريق البحر الميت.

وفى تقديمه للكتاب يقول د. جونى منصور: "يأخذنا فين فى سلسلة من الجولات والرحلات فى طول فلسطين وعرضها وشرقى نهر الأردن، ويقدم لنا وصفا تفصيليا للأماكن التى يمر بها، أو يبيت فيها ليلا، أو يمضى ساعات وأياما فيها، وسيلاحظ القارئ أن التفاصيل التى يقدمها تتعدى كونها تفاصيلا شكلية أو مظهرية، إلى معلومات جوهرية وداخلية وتحليلية لطبيعة الناس والمجتمع الذى يلتقى به.»

ويشير منصور إلى أن فين يربط فى هذه النصوص مواقع كثيرة بأسماء شبيهة لها وردت فى الكتاب المقدس، وهذا يعنى سعيه إلى تعزيز العلاقة التاريخية لليهود بالمكان الذى يقوم بزيارته ويحمل اسما مشابها أو قريبا، وكل هذا من دون أن يلتفت ولو لبرهة إلى وجود شعب ينبض بالحياة مرتبط بأرضه ارتباطا عضويا قويا من خلال إنتاجه وعنايته بالشجر والحجر والبشر، حتى النشاط الزراعى الذى يقوم به السكان الأصليون لفلسطين لا يعيره أى اهتمام، سوى أنه يشير إلى أن الأرض التى تخرج منها المحاصيل بكميات كبيرة هى أرض ذات صلة تاريخيا ودينيا بالشعب المختار.

ويقول منصور: «من أجل ذلك جمع فين هذه المعلومات الدقيقة عن نوعية الأراضى ومحاصيلها وجودتها وكميات الأمطار الهاطلة، من أجل أن تستفيد منها مؤسسات الحركة الصهيونية والاستيطانية لتحديد أماكن ومواقع شراء الأراضى أو الاستيلاء عليها فى العام 1948، وما بعده»

ويضيف منصور مؤكدا إن رحلات وجولات فين الواردة فى هذا الكتاب تحمل سمات متنوعة جدير بنا الاطلاع عليها، وأقصد "بنا"، كل من له اهتمام فى مسألة أدب الرحلة والاستكشاف فى القرن التاسع عشر، وللفائدة، فهذا الأدب الذى ازدهر ونما لدرجة أن مئات من المؤلفات قد نشرت حول فلسطين بقلم رحالة أوروبيين وأمريكيين وغيرهم، ومستكشفين ومبشرين ومجرد زوار وسياح وحجاج وصلوا إلى هذه الأرض وخطوا بأقلامهم بعضا من انطباعاتهم.

كتاب بحثى جديد عن استغلال الاضطهاد صهيونيا

أصدر مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية كتابا جديدا بعنوان «الصهيونية.. إسرائيل ومناهضة السامية: استغلال معاناة اليهود فى اضطهاد الفلسطينيين» للباحث والصحفى المختص بالشأن الإسرائيلى خلدون البرغوثي.

ويتناول الكتاب دوافع ومراحل تطوير تعريف مناهضة السامية من «العنصرية ضد اليهود على أساس عرقى ودينى»، إلى تعريفات جديدة تستهدف بشكل أساسى من يتبنون مواقف مناهضة للصهيونية كفكرة استعمارية-استيطانية، ومن ينتقدون إسرائيل كدولة تمارس الاحتلال العسكرى والفصل العنصرى بحق الفلسطينيين، عبر اتهامهم بأنهم عنصريون ضد اليهود، أى مناهضون للسامية، بهدف قمع وإسكات هذه الأصوات.

يركز الكتاب على التعريف العملى لمناهضة السامية والذى تبناه التحالف الدولى لإحياء ذكرى الهولوكوست. كما يستعرض الكتاب أبرز المجالات التى يتم استخدام هذا التعريف فيها من قبل المنظمات الصهيونية المدافعة عن إسرائيل خاصة فى الولايات المتحدة وأوروبا.

وتكمن أهمية الكتاب فى كونه الأول فلسطينيا وعربيا فى تناوله عملية تطوير تعريف مناهضة السامية لحرفه عن سياقه الأصلى والتاريخي، واستغلاله لأغراض سياسية بما يتسبب بظلم لضحايا إسرائيل من الفلسطينيين من ناحية، ولضحايا مناهضة السامية بمفهومها الكلاسيكى من اليهود من ناحية ثانية، عبر إقحام معاناتهم فى الصراع الفلسطيني-الإسرائيلى واستغلالها لقمع منتقدى الاحتلال.

وداعا أرض اللبن والعسل لسامية العطعوط

صدر حديثاً عن مركز الأبحاث الفلسطينى كتاباً بحثياً بعنوان (وداعاً أرض اللبن والعسل) وبعنوان فرعى (العقلية الصهيونية فى بيت إتغار كيريت – أضيق بيت فى العالم)، للقاصة والكاتبة الأردنية سامية العطعوط.

يبحث الكتاب، كما تشير الكاتبة فى مقدمته (حكاية البيت والكتاب)، فى العقلية الصهيونية الانعزالية تحديداً، وتطرح عدة تساؤلات فى محاولة للإجابة عنها، منها مثلا: ما هى منطلقات هذه العقلية، وكيف تفكر؟ وكيف انتهى بها الأمر (مجازاً) فى أضيق بيت فى العالم (بيت إتغار كيريت)؟ ولماذا يبنى الإسرائيليون الجدار وراء الجدار؟ وهل يهدفون من بناء الجدران إلى عزل الآخرين فى الخارج أم عزل أنفسهم فى الداخل؟ وهل النتيجة فى كلتا الحالتين واحدة؟، إلى غير ذلك من تساؤلات.

توزّع الكتاب على خمسة فصول ومراسلات بين الكاتبين الإسرائيلى الفلسطينى (سيّد قشوع) والإسرائيلى البولندى (إتغار كيريت).

تناولت الكاتبة فى الفصول الثلاثة الأولى العقلية اليهودية منذ بدايات انعزالاتها وتغيّر هذه الانعزالات حسب الظروف السياسية والاجتماعية الخاصة والعامة. ففى الفصل الأول تبدأ هذه العقلية انعزالها الاختيارى والإجبارى فى بداية القرون الوسطى فى الملاحات والحارات اليهودية، لتفاجأ فى القرون الوسطى بانعزالات إجبارية فُرضت عليها فى غيتوات روسيا وأوروبا. بينما تتكشّف فى الفصلين الثانى والثالث نتائج الانعزالات السابقة من خلال عدم قدرة هذه العقلية على العيش فى اتّساع حتى بعد احتلال فلسطين، فتعمل على إنشاء انعزالاتها الخاصة بها من خلال بناء الكيبوتسات والمستوطنات، وأخيراً من خلال بناء جدار الفصل العنصري.

فى الفصل الرابع (الجدار فى عقلي) قراءة لأسباب الانعزالية المستمرة ونتائجها على الشعوب وعلى دولة الاحتلال الإسرائيلي، وأثرها على العقلية الصهيونية ومظاهر انعزالاتها التى طالتْ حتى المعارضين فى دولة القمع. بينما تتمثّل بؤرة الكتاب فى الفصل الخامس، إذ تظهر رمزية اكتمال مراحل انغلاق هذه العقلية فى بيت "إتغار كيريت" وتقوقعها فى أضيق بيت فى العالم.

خبايا الرماد ..جديد الرنتيسي

صدر مؤخرا عن دار البيروني، الرواية الثانية للروائى جهاد الرنتيسى بعنوان «خبايا الرماد»، التى أهداها الرنتيسى إلى المفكر والروائى الأردنى غالب هلسا؛ حيث يبحث فيها عن مقدمات الخيبات والانتكاسات التى لحقت بالتجربة السياسية الفلسطينية المعاصرة.

تتناول الرواية أشكال وأسباب النزوح السكانى الفلسطينى الى الكويت فى بدايات خمسينيات القرن الماضي، والحالة «الاقتصادية-الاجتماعية» التى تكونت على ضوء هذا التطور من خلال شخصية بطلها "رشاد الناجي" والوثائق التى عثر عليها فى مغلف حمله من الكويت الى عمان. تركز الرواية على جوانب من الأوضاع المعيشية التى كان يعيشها الفلسطينيون فى ذلك الشتات وأثرها فى تكوين وعيهم السياسى والاجتماعى الذى تفاوت فى مجاراته للمناخات السائدة.

كما تلتقط خبايا الرماد بعض العوامل التى لعبت دورا فى رحيل الفلسطينيين عن البلاد فى عقود سابقة للاجتياح العراقي، ومن بينها البحث عن أفق سياسى فى البلاد القريبة من فلسطين.

دراسة جديدة عن العلاقات الإسرائيلية الفرنسية

عن دار الجندى للنشر صدر مؤخرا كتابا بحثيا بعنوان «العلاقات الإسرائيلية الفرنسية وأثرها على القضية الفلسطينية» للكاتبة فدوى عبد الواحد نصار. يتناول الكتاب علاقات فرنسا وإسرائيل خلال الفترة من 1995 إلى 2017 وما حملته من تأثيرات على قضية فلسطين.ويبين الكتاب المراحل المختلفة التى مرت بها العلاقات صعودا وهبوطا وكيف دعمت فرنسا إسرائيل فى المجال النووى خلال حقبة الخمسينيات.

وتضمن الكتاب خمسة فصول تناول الفصل الأول الإطار العام للدارسة وإشكالياتها ومنهجيتها، ثم تناولت الفصول التالية المراحل التاريخية المختلفة للعلاقات بين البلدين.

«يدى يتيمة» جديد مهيب البرغوثي

صدر عن دار الأهلية للنشر والتوزيع بالأردن ديوان شعرى بعنوان « يد يتيمة » للشاعر مهيب البرغوثي، نقرأ على غلافه:

«لاشئ يعكر مزاجى اليوم.. ستمر الدقائق الأخيرة من العام الماضى وأنا أجلس أشرب الشاي، وألعب الورق مع أشخاص لا أعرفهم.»

ومهيب البرغوثى شاهر فلسطينى ولد سنة 1964 ، وهاجر مع عائلته إلى الأردن وأقام بها، ثم عاد إلى فلسطين سنة 2000، وصدرت له عدة دواوين شعرية أبرزها «عُتم» و«كأنى أشبهني»، و«حقوق موت محفوظة».

كتاب توثيقى عن الفالوجة أرض الصمود

صدر مؤخرا عن مؤسسة التراث العربى كتاب توثيقى جديد بعنوان «الفالوجة ..أرض الصمود والبطولات» من تأليف الدكتور محمد عيسى قنديل، والذى اعتمد فيه على مراجع توثيقية لرصد الحياة الإنسانية فى قرية الفالوجة قبيل نكبة 1948.

واعتمد المؤلف على عدّة مصادر منها الأرشيف الإسرائيلي، والصحف والمجلات التى كانت تصدر فى عهد الانتداب البريطاني، والأرشيف الفلسطينى الموجود فى رام الله، إلى جانب بعض الوثائق التى نشرت فى الأرشيف السورى واللبناني، فى حين لم يتمكن من الوصول إلى الأرشيف العثماني. كما استعان بمقالات وأبحاث لكتاب فلسطينيين، ولم يعتمد على الروايات الشفوية إلا فى أضيق الحدود.

يقع الكتاب فى ٣٥٢ صفحة، ويضم عددًا من الفصول التى تتناول الفالوجة تاريخيًا، وجغرافية القرية الفقيرة من حيث المحاصيل الزراعية خلال فترة الالتزام التركى الذى كان يلزم كبار الأغنياء بشراء الأراضي. فضلا عن الأمور الحضارية فى الفالوجة وما تحتويه من مطار عسكرى وعيادات حكومية، ومكتب بريد، والحركة السياسية الحزبية الفلسطينية، والحياة الاجتماعية لأهالى القرية وعاداتها وتقاليدها فى الأفراح والأحزان ومناسبات أخرى. إلى جانب فصل تناول الصراع والصمود لأهالى القرية أمام جيش الاحتلال الإسرائيلى حتى صارت آخر القرى سقوطا فى قبضة الاحتلال.

دراسة عن تنظيمات القضاء فى فلسطين خلال العهد العثماني

عن دار الإسراء للنشر فى الأردن صدر مؤخرا كتاب بحثى للدكتور عبد الله حمود بعنوان «التنظيمات الإدارية والقضائية فى فلسطين فى العهد العثماني». ويتمثل الكتاب فى دراسة علمية محكمة، تتناول تفاصيل الحكم والإدارة فى فلسطين طيلة العهد العثماني، حيث يحتوى الكتاب على وثائق نادرة تنشر لأول مرة تتعلق بفلسطين ومصدرها الأرشيف العثمانى وسجلات المحاكم الشرعية، وهذه الدراسة هى الأولى من نوعها التى تتناول تفاصيل التقسيمات الإدارية وعائلات الإقطاع وواقع الحالة السياسية والاقتصادية والأمنية والقضائية طيلة فترة الحكم العثمانى فى فلسطين.

كما يتناول الكتاب واقع القضاء حتى نهاية الحكم العثماني، حيث أثرت تلك التفاصيل على مستقبل فلسطين والشام.

صلاح الدين وبيت المقدس ترجمة جديدة لكتاب هام

فاجأت الدار المصرية اللبنانية قراءها خلال معرض القاهرة الدولى للكتاب فى يناير الماضى بإصدار أكبر دراسة استشراقية كتبت عن صلاح الدين الأيوبى وقصة تحرير بيت المقدس، من تأليف المستشرق الشهير ستانلى لين بول، وقام بترجمته إلى اللغة العربية الدكتور علا مصرى النهر. يشير المترجم إلى أن صلاح الدين الأيوبى يظل هو البطل الرمز ليس لدى الشرق وحده، وإنما لدى الغرب أيضا، إذ ظلت أخلاقه النبيلة مضرب الأمثال لدى الذاكرة الأوروبية القديمة والحديثة على السواء.

وفى هذا الكتاب الضخم يتتبع ستانلى بول سيرة القائد العظيم صلاح الدين بدءا من ميلاده فى تكريت ثم طفولته فى بعلبك ودمشق، والتحاقه بعد ذلك بخدمة الملك نور الدين محمود ثم ذهابه إلى مصر مع عمه الوزير أسد الدين شيركوه، وتوليه الوزارة فى ظل الدولة الفاطمية قبل أن يُنهى حكمها ويحارب لتوحيد مملكته قبل أن يخوض أكبر معارك ضد الصليبيين، وينتصر عليهم فى حطين ثم يقوم بفتح مدينة القدس ويقضى نهائيا على مملكة الصليبيين فيها.

كما تناول الكتاب كثير من الأساطير المروية حول محرر القدس ساعيا إلى دحضها وتنقيتها مما علق بها من أوهام ولغط.

رمضان فى فلسطين

شهر فرح وتراحم وعبادات

يتفرد شهر رمضان فى كافة الأقطار العربية بسمات خاصة تُميزه عن باقى الشهور، إذ تمتد الموائد العامرة بأطايب الطعام، ويعم الفرح، ويسود البشر، وتتسع أعمال الخير إحتفاء بالشهر الكريم.

القدس تحافظ على مدفعها الأثرى العتيق.. ونابلس تودع الشهر الكريم بـ "التوحيشة"

ولاشك أن الفلسطينيين لديهم ضروب خاصة للإحتفاء بالشهر الفضيل تعكس بهجة حقيقية به بين مختلف فئات المجتمع، فالجميع يستعد للشهر الكريم بتعليق الزينات والفوانيس الزاهية فى الشوارع، وتقوية الإضاءة، وتجهيز الموائد الجماعية للإفطار، وتوسيع نطاق التكافل ورعاية أسر الشهداء والأسرى. كما تقوم جماعات من الناس بعيادة المرضى فى المشافى وتقديم الهدايا لهم.

فضلا عن تهيئة المساجد لاستقبال جموع من المصلين خلال صلاة القيام. وينتظر الناس إعلان ثبوت الرؤية وبدء الشهر الكريم لتنتشر التكبيرات فى المساجد وعبر الطرقات، وقبيل الفجر يجوب المسحراتى الطرقات ليوقظ الناس لتناول السحور كل ليلة.وللمسحَراتى عادةً زى خاص يميزه، يجوب به الحارات كالبلدة القديمة فى كل من القدس ونابلس والخليل ورام الله وفى باقى مدن الضفة، وفى غزة، حيث يتطوع أحد أبناء المنطقة لأداء المهمة.

«الشعبونية» تجمع الأهل معا للإفطار وربات البيوت يتنافسن لإعداد أشهى المأكولات

وفى اليوم الأول للشهر الكريم تزدحم الأسواق بالصائمين الذين يذهبون لشراء إحتياجاتهم، ويذهب معظم الناس إلى باعة الحلويات لشراء «القطايف» التى لا تكاد تخلو منها مائدة من الموائد بأنواعها المختلفة مثل قطايف الجوز، الجبنة، القشدة، العصافيري، والفستق الحلبي.

وفى البيوت تتجمع الأسر داخل كل عائلة معا للإفطار الجماعي، فيدعو كل أب أبناءه وأسرهم للإفطار العائلى وهو ما يُسمى بالشعبونية نسبة إلى شهر شعبان حيث كانت المآدب العائلية تبدأ خلاله واعتادت كثير من العائلات خاصة فى نابلس على ذلك منذ عقود طويلة.

وتتبارى العائلات فيما بينها فى إعداد أشهى المأكولات التى يتسع الإقبال عليها خلال رمضان، وتتباين نوعيات الطعام من مدينة لأخرى وفقا للطقوس الخاصة لكل مدينة.

وهكذا تتفنن ربات البيوت فى إعداد الأكلات والتباهى بأشهاها، فالمطبخ الفلسطينى يتميز عن غيره بأكلات طيبة مثل المسخن، المقلوبة، المفتول، والقدرة الخليلية، فضلا عن المتبلات والمخللات بأنواعها والسلطات بمختلف أشكالها والزيتون والزيت والزعتر.

وتظل التمور بمختلف أشكالها وأنواعها عروس مائدة الإفطار الفلسطينية، وإلى جانب التمور تصطف المشروبات بألوانها، فى مقدمتها شراب «الخروب»وإلى جانبه «عرق السوس، وقمر الدين، والكركديه.»

وتختلف المأكولات التى تفتتح بها العائلات الفلسطينية الشهر الكريم من مدينة لأخرى، فيفضل سكان الخليل طبق الملوخية مع الحمام المحشى كطبق أساسى للإفطار، ولا يفضلون البدء بالأطعمة المطبوخة باللبن الرائب لأنه الطبق المخصص للولائم، والذى يبدأ عادة فى الأسبوع الثانى ويقدم اللبن المطبوخ باللحم إلى جانب أرز ومعه الفاصوليا الخضراء.

وفى مدينة جنين يستقبل الناس شهر رمضان بطبق اللبن المطبوخ إلى جانب الأرز. أما فى وسط وجنوب فلسطين

المسحراتى يجوب الطرقات لإيقاظ النائمين.. والفوانيس والزينات تملأ الطرقات

القطايف. الخروب وقمر الدين ضيوف دائمين على موائد الصائمين

فيطبخ الناس المنسف بالجَميد، أى لبن الأغنام المجفف، وفى شمال الضفة الغربية يتم إعداده باللبن الطازج.

أما فى مخيمات اللاجئين بالضفة الغربية، فنجد أنماطا مختلفة فيبدأ البعض الشهر الكريم بأطباق ورق العنب والمحشى أو المقلوبة، وهناك من يبدأه بالمفتول، وهو عبارة عن حبيبات مصنوعة من الطحين والقمح المجروش ويطبخ باللحم أو الدجاج.

ويحرص الفلسطينيون على الاحتشاد للصلاة فى المساجد، خاصة صلاتى الفجر والعشاء، وحضور دروس الفقه وحلقات الذكر والتسبيح والصلاة على النبي. وفى مدينة القدس بشكل خاص، فهناك اهتمام كبير للصلاة فى المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين على الرغم من الحواجز الأمنية العديدة التى تضعها قوات الاحتلال لإثناء المصلين عن الذهاب للمسجد. ويحرص الجميع رجالا ونساءا، أطفالا وشيوخاً على الاصطفاف فى صفوف متتالية تبدأ من داخل المسجد الأقصى حتى تصل إلى أبواب الحرم القدسى الشريف الخارجية، ويجهز كل مصل نفسه لأداء صلاة العشاء ثم صلاة التراويح، حيث يلتقى الأهل والأصدقاء فى أجواء إيمانية مرحة.

وفى المدينة نفسها يوجد مدفع أثرى كبير يعلن كل يوم انقضاء الصيام بغروب الشمس، ويسمعه كل القاطنين فيها. ويقع هذا المدفع فى المقبرة الإسلامية بشارع صلاح الدين وسط المدينة، وقد منعت قوات الاحتلال استخدام البارود فى ضرب المدافع، فصار المسئولون عنه يستخدمون القنابل الصوتية كبديل.

وتتميز مدينة نابلس بطقوس خاصة فى شهر رمضان عند توديع الشهر الكريم فما إن تبدأ العشر الأواخر منه حتى يتم إحياءها بترانيم تعرف باسم «التوحيشة» وهى ابتهالات دينية تنقل عبر مكبرات الصوت قبيل السحور. ومع التوشيحات يستمع الناس لذكر الله والصلاة على النبى الكريم، ومن أبرز التوحيشات قولهم « يا حى يا قيوم: لا إله إلا أنت. يا حنّان. يا منّان. أجرنا من عذاب النار. يا ذا الجود والإحسان: ثبتنا على الإيمان.اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.»

باب الساهرة بالقدس

موسم البرتقال في يافا سنة 1937

افتتاح إذاعة رام الله سنة 1936

ورشة زميلية فلسطينية لصناعة الخزف بالقدس

صور من الذاكرة.....حتى لا ننسى

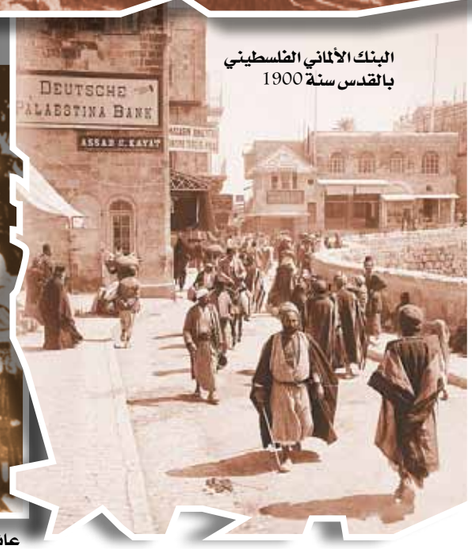
البنك الألماني الفلسطيني بالقدس سنة 1900

عائلة الحاج راغب الخالدي.. من العشرينيات

رحلة لطالبات بير زيت سنة 1947

شركة باصات الناصرة المحدودة عام 1944

مدينة الطيبة سنة 1964

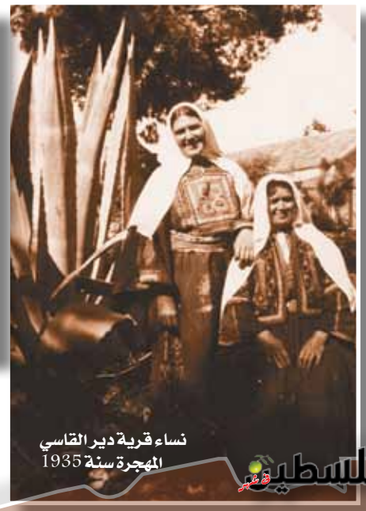
نساء قرية دير القاسي المهجرة سنة 1935

عكا سنة 1942

قوافل التجار القدس أريحا سنة 1911

قرية الطيرة بحيفا 1940

شركة الباصات الوطنية

بدل السلوى

قُل فلسطين وياسمينها ومبدعوها الخالدون

بقلم مصطفى عبيد

mostafawfd@hotmail.com

كلما رفعنا حجرا منحوت عليه اسم فلسطين، وجدنا وردة.
فى زمن الغبار، والصخب، والتحولات الدرامية الحادة، مازالت فلسطين مُنتجة للجمال والسحر، والإبداع المتفوق والمتفرد.
مازالت فلسطين حُبلى بالجمال. كُل يوم تُنجب فلاً وياسمينا ومباهجا عدة.
مازالت هذه الحروف الست تتشابك معا لتُخرج لنا مما تُنبت الأرض من طيبها وإبداعها وروعتها الطاغية. ليس مُهما إن أطل الجمال من داخل الأرض أو من الشتات، لا يعنيَنا إن جاء من نابلس أم جنين أم غزة أم القدس أم من بلاد المهجر، فيكفينا أنه فلسطينى الأصل والإنتماء والخيار والرهانات الصعبة.
أكتب لكم اسمه. احفظوه جيدا، فذلك شاعر فذ، مُختلف، ومتفرد سيكون له شأن كبير فيما آت.
فخرى رطروط، الفلسطيني، المبدع والساحر الذى يعيش فى نيكاراجو، مستقرا بها بعد طول تطواف فى أقطار العالم بحثا عن مرفأ هانئ يمارس فيه إبداعه.
بشغف شديد أترقب كل ما يكتبه، وأتابع ما تخرجه المطابع لنا من مجموعات شعرية صدرت معظمها من القاهرة. عرفته من خلال الشاعر المصرى المتألق أحمد الشهاوي، والذى راهن عليه باعتباره مبدعا ناضجا، مجددا، ومجوّدا. قرأته وحادثته وتجادلت معه حول الكلمة والسحر والثقافة، فقد هاجر سنة 2000 إلى أمريكا اللاتينية ليريح رأسه قليلا من صداع الثرثرة، ومجادلات العبث، ويقاوم شظف الحياة وقسوتها، فإذا به يستعر سحرا وجمالا مع الطبيعة الخلابة هناك ليكتب لنا قصائد جديدة تأخذ نسق الهايكو اليابانى حيث البيت الشعرى يشكل وحدة متكاملة بليغة ومكثفة وحاضرة.
اسمتعت بدواوينه " البطريق فى صيف حار" و"جنة المرتزقة" و" صنع فى الجحيم" ومن بينها نقرأ النص التالى :
" لماذا لا تكتب الأقدام مذكراتها؟ /
لماذا فقط أحصنة وفيلة على رقعة الشطرنج. ماذا عن الإبل والبغال والثيران؟ /
من حكم على العقل بالسجن المؤبد داخل الجمجمة؟ /لماذا تموت كل الأشياء التى ألمسها؟ /
متى سيتوقف مولانا الرومى عن الدوران والرقص؟ /
لماذا لا تستخدم الفهود مزيل العرق؟/متى سأعثر على قطٍّ نباتي؟ /
دانتى فى أى طبقة من الجحيم يقبع؟ /هل حقاً يفتخر البغل بخاله الحصان؟ /
كم عمر السماء؟ /من يؤرِّخ لمعارك الذباب؟"
فى أمريكا اللاتينية تابع فخرى رطروط تجارب شعرية مختلفة، تعرف على عدد كبير من الشعراء، تعايش مع المطر والغابات والبراكين، وشعر بالإختلاف عن مدينة ميلاده (الزرقاء) حيث الصحراء الموحشة، والماء الذى يأتى مرة فى الإسبوع، ومصفاة البترول وثكنات الجيش القريبة والمقابر المحيطة والسجن الكبير القائم .فى منفاه الاختيارى وجد نفسه بين محيطين وغابات وبجانب بحيرة عظيمة وتحت أمطار استوائية عنيفة، وبركان يبعد عن بيته 14 كلم فقط. مدينة تخلو من العمارات والأبراج، لا جدران بين البيوت، تحيط بها حقول قصب السكر والذرة.
يقول فى قصيدة واصفا الشرق الذى تركه مهاجرا :" من أى البلاد أنت؟/ من البلاد التى يخاف فيها الناس فتح نوافذهم / من البلاد التى تخلو مقابرها من الورود /من البلاد الى يأتيها الموت من أسفلها وأعلاها/ من البلاد التى تكدس الأسلحة لقتل مواطنيها/ من البلاد التى لا تعرف معنى كلمة طابور/ من البلاد التى تمر غيمة فى سمائها صدفة/ من البلاد التى كل كلابها تعرج لأن الصغار غاضبون ويقذفونها بالحجارة/ من البلاد التى لون سمائها أصفر/ من البلاد التى لا تعرف البحر/ من البلاد التى لا يجرؤ أحد فيها على الحلم/من الشرق يا سيدى حيث لا تجرؤ شمس على الشروق."
تبدو كلماته قاسية، لكنه نبع إبداع جديد سيكون له شأن وشأن.
والله أعلم.

أكتب لكم اسمه. احفظوه جيدا، فذلك شاعر فذ، مُختلف، ومتفرد سيكون له شأن كبير فيما آت. فخرى رطروط، الفلسطيني، المبدع والساحر الذى يعيش فى نيكاراجو، مستقرا بها بعد طول تطواف فى أقطار العالم بحثا عن مرفأ هانئ يمارس فيه إبداعه.

فلسطين في شهر

فكر بغيرك

وأنتَ تُعِدُّ فطورك ، فكِّرْ بغيركَ
[لا تَنْسَ قوتَ الحمامْ]
وأنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيركَ
[لا تَنْسَ مَنْ يطلبون السلامْ]
وأنتَ تُسدِّدُ فاتورةَ الماء، فكِّر بغيركَ
[مَنْ يرضَعُون الغمامْ]
وأنتَ تعودُ إلى البيت، بيتكَ، فكِّرْ بغيركَ
[لا تنس شعب الخيامْ]
وأنت تنام وتُحصى الكواكبَ، فكِّرْ بغيركَ
[ثَمَّةَ مَنْ لم يجد حيّزاً للمنام]
وأنتَ تحرِّرُ نفسك بالاستعارات، فكِّرْ بغيركَ
[مَنْ فَقَدُوا حَقَّهم فى الكلامْ]
وأنتَ تفكّرُ بالآخرين البعيدين، فكِّرْ بنفسك
[قُلْ: ليتنى شمعةٌ فى الظلامْ]

شعر : محمود درويش